

قسم اللغة والآداب العربي

اليهود وأسئلة الهوية في رواية "منبوذ والعصافير"
لإسماعيل يبرير

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة الأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إشراف الأستاذة:

مسالي ليندة

إعداد الطالبتين:

بلحاج شيماء

بزو سيهام



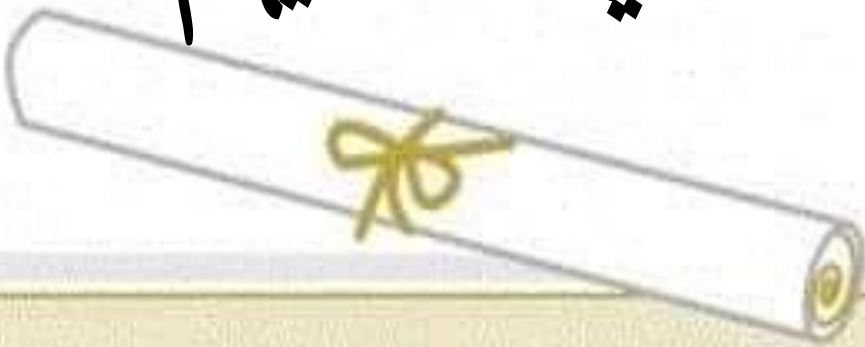




شكر و تقدير

نشكر الله سبحانه وتعالى الذي وفقنا على
انجاز هذا البحث المتواضع كما نتقدم بعظيم
الشكر والتقدير للأستاذة المشرفة "مسالي
ليندة" على توجيهها لنا.

شيء / سيهام



إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع:

- ✓ إلى من أسقوني حنانا لا ينتهي: وأعطوني
الحب الدائم ومن كانوا دفعة قوية في حياتي للوصول
إلى هذا المستوى «والدي الحبيبين» إلى عائلتي
العزيرة.
- ✓ إلى زميلاتي وصدقائتي وكل من وقف معي
وشجعتني وساندني.
- ✓ إلى كل من علمني حرفا وأخذ بيدي في سبيل
تحصيل العلم والمعرفة.
- ✓ إلى روح زميلتنا الطيبة التي حاصرتها النيران،
ونحبتها الموت عنا إلى أمانة تعزييت التي فارقتنا ولم
تفارق قلوبنا.
- ✓ إلى صديق دربي، الرجل الوفي خطيبي العزيز.
- ✓ إليكم جميعا، وإنني لأكون جد سعيدة بأن
أهدي لكم ثمرة جهدي ونتائج بحثي المتواضع الذي
أسأل الله أن يجعله نبراسا لكل طالب علم.

بلحاج شيماء

إهداء

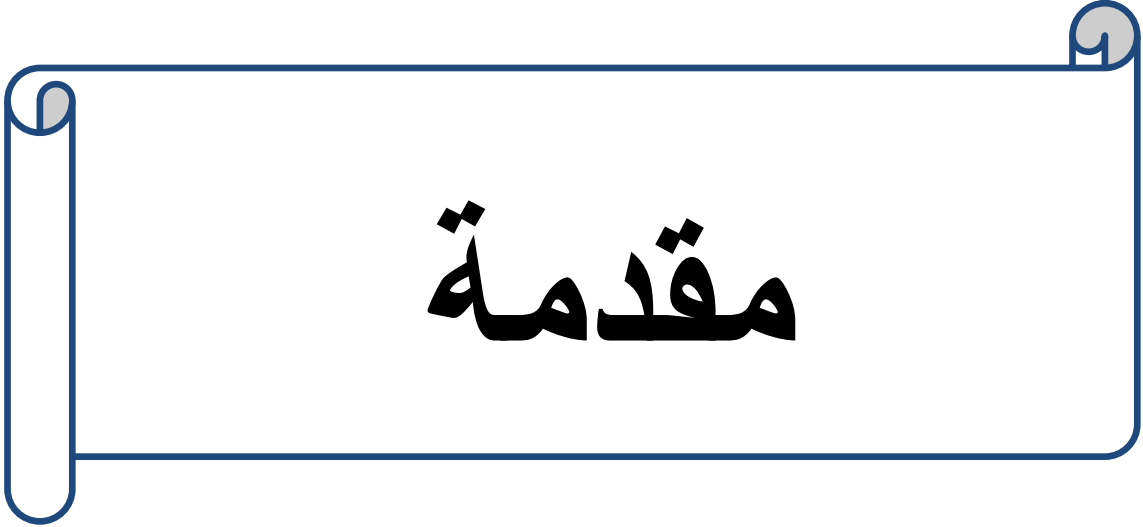
أهدي هذا العمل المتواضع:

- ✓ إلى من أسقوني حنانا لا ينتهي: وأعطوني
الحب الدائم ومن كانوا دفعة قوية في حياتي للوصول
إلى هذا المستوى «والذي الحبيبين» إلى عائلتي
العزيزة،
- ✓ إلى زميلاتي وكديتاتي وكل من وقف
معي وشجعني وساندني،
- ✓ إلى كل من علمني حرفا وأخذ بيدي في
سبيل تحصيل العلم والمعرفة،
- ✓ إلى روح زميلتنا الطيبة التي حاصرتها
النيران، وغيبها الموت عنا إلى أمانة تعزيبيم التي
فارقتنا ولم تفارق قلوبنا.
- ✓ إليكم جميعا، وإنني لأكون جد سعيدة بأن
أهدي لكم ثمرة جهدي ونتائج بحثي المتواضع الذي
أسأل الله أن يجعله نبراسا لكل طالب علم.

بزوسيهام



رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي *
وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي *
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي *
يَفْقَهُوا قَوْلِي *



مقدمة

مقدمة:

يعتبر الانسان كائن اجتماعي بطبعه، فهو يعيش في مجتمع له عادات وتقاليد وأعراف وهوية تميزه عن باقي المجتمعات الأخرى، يتأثر بالعوامل المحيطة به والعوامل الخارجية، ولعل من بين الأسئلة التي لازالت مطروحة إلى وقتنا الحالي والمواضيع التي شغلت الأدباء والمفكرين، وعلماء الاجتماع تكمن حول موضوع الهوية، وتعتبر مسألة الهوية من المسائل المعقدة فقد أصبحت أزمة العصر وهذا راجع الى الحروب والعوامل السياسية والاقتصادية حتى أصبحت ظاهرة عالمية تجتاز الكتب والمجلات والمقالات، وأصبح مصطلحا كثير الاستعمال في الأوساط الاجتماعية والسياسية والإعلامية.

لقد شهدت العقود الأخيرة من الزمن تشتتا في الهوية وذلك بسبب التغيرات التي طرأت على المجتمعات وما حصل لمعظم الدول وانحيار القيم، فأصبح السؤال المتعلق بالهوية يأخذ مكان محوريا في اهتمامات الكثير من الشعوب، فتجسد هذا الموضوع في الأدب بصفة عامة والأدب الجزائري بصفة خاصة.

إن موضوع بحثنا هذا هو " اليهود وأسئلة الهوية في رواية منبوذ العصافير " للإسماعيل بيزير"، وقع اختيارنا على هذا الموضوع أولا لأنه يعكس لنا واقعا معاشا ومعبرا عن هموم الانسان وقضايا المجتمع عنوان الرواية « منبوذو العصافير » الذي يبدو غامضا ورغبتنا في كشف الغموض نزوعنا الشديد لجنس النشر وبالتحديد "الرواية"، كما هو معروف أن الرواية تعتمد على أسلوب قصصي مثير يمزج فيه الروائي بين السرد والحوار والمنولوج، وهذه التقنيات تضمن للرواية نجاحها واستمرارها، علاوة على هذا تقنية السرد تجعلنا نستحضر المشاهد والأحداث ونعيشها بكل جوارحنا، وقد نجد أنفسنا نتعاطف ونحزن لشخصية من شخصيات الرواية كأننا نعيش الحدث من الموقع بحد ذاته.

وقد قمنا بتقسيم بحثنا وفق الخطة التالية:

❖ **مقدمة:** وقد شملت الإحاطة بالموضوع وأسباب اختياره والمنهج المعتمد في الدراسة مدخل تطرقنا من

خلاله إلى مبحثين نظريين:

المبحث الأول: الرواية واتجاهاتها

المبحث الثاني: الهوية في الرواية

❖ **الفصل الأول:** خصصناه للحديث عن: أبعاد الهوية

المبحث الأول: الهوية الوطنية والدينية

المبحث الثاني: الهوية الثقافية والاجتماعية

❖ **الفصل الثاني:** نجد فيه: الشخصية الروائية وملامح الهوية اليهودية

المبحث الأول: مفهوم الشخصية الروائية

المبحث الثاني: الهوية اليهودية في الرواية

❖ **الفصل الثالث:** الفضاء المكاني والهوية المحلية في الرواية

المبحث الأول: مفهوم الفضاء المكاني

المبحث الثاني: الهوية المحلية في الرواية

❖ **الفصل الرابع:** نقد الذات والدفاع عن هوية الآخر

المبحث الأول: نقد الذات

المبحث الثاني: الدفاع عن هوية الآخر

❖ خاتمة.

❖ ملحق:

تطرقنا إلى:

● تعريف الكاتب: (إسماعيل بيرير).

● ملحق الرواية:

ومن أبرز الصعوبات التي اعترضت سبيلنا في البحث صعوبة النص الروائي وكيفية التطبيق عليه، وجائحة كورونا التي أدت إلى عدم القدرة على التواصل مع المشرف، إضافة إلى استحالة الوصول إلى المكتبات لجمع المادة العلمية، ورغم ذلك تم البحث بفضل الله وعونه وبفضل توجيهات الأستاذة المشرفة، فلها منا جزيل الشكر والعرفان.

مدخل نظري

تمهيد:

يعد الأدب شكل من أشكال التعبير الإنساني عن مجمل عواطف الإنسان وأفكاره وما يدور في خاطره، فهو يتميز بأرقى الأساليب الكتابية المتنوعة من نثر والنثر المنظوم والشعر الموزون وهذا ما يجعل الإنسان ذو قدرة تجعله يعبر عما لا يمكن أن يعبر عنه بأسلوب آخر.

تعريف الرواية: تعتبر الرواية جنس أدبي نثري، تتخذ لنفسها ألف وجه وترتدي في هيئتها ألف رداء «وتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل، مما يعسر تعريفها، وذلك لأننا نلقى الرواية تشترك مع الأجناس الأخرى في الكثير من الخصائص»¹.

«إن الأصل في مادة روى في اللغة العربية هو جريان الماء أو وجوده بغزارة أو ظهوره تحت أي شكل من الأشكال أو نقله من حال إلى حال أخرى من أجل ذلك ألفيناهم يطلقون على المزايدة الرواية ، لأن الناس كانوا يرتوون من مائها ثم على البعير الرواية أيضا لأنه كان ينقل الماء فهو بعلاقة بهذا الماء، كما أطلق على الشخص الذي يستقي الماء هو أيضا الرواية»². أي أن "الرواية" نتاج دخيل غربي الأصل والنسب والرؤية، وهي تعبر عن واقع الإنسان وهو جسده وتطلعاته.

كما أنّها «تعتمد على التنوع والكثرة في الشخصيات فتقترب من الملحمة دون أن تكونها بالفعل حيث الشخصيات في الملحمة أبطال وفي الرواية كائنات عادية وهي تتميز بالتعامل اللطيف مع الزمان والخبر والحدث فهي تختلف عن الأجناس الأدبية ولكن دون أن نبتعد عنها كل البعد حيث

¹ عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1998، ص 11.

² عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 22.

تظل مضطربة في فلكها وضاربة في مضطرباتها»¹. نستطيع القول «أن الرواية هي ما يدرسه النقاد في عصر من العصور على أنه رواية»²

الرواية لغة: لقد جاء في المعجم الوسيط قولهم: «روى على البعيد ربا: استسقى، روى القوم عليهم ولهم، استسقى لهم الماء روى البعير، شدّ عليه بالرواء؛ أي شدّ عليه لئلا يسقط من ظهر البعير عند غلبة النوم، روى الحديث أو الشعر رواية أي حملة ونقله، فهو راو، وروى الحبل ربا: أي أنهم فتله، وروى الزرع أي سقاه، والراوي: راوي الحديث أو الشعر حامله وناقله، وروى الزرع أي سقاه، والراوي: راوي الحديث أو الشعر حامله وناقله والرواية القصة الطويلة»³.

الرواية اصطلاحاً: تعتبر محور العلاقة بين الذات والعالم، وبين الحلم والواقع فهي الخطاب الاجتماعي والسياسي والإيديولوجي المتوجه دائماً ناحية حشد من الأسئلة، التي تتخذ من الإنسان والطبيعة والتاريخ محاور موضوعاتها لتعيده إليهم رؤى ووعي وبني جديدة تضيء الواقع.

وقد اختلف الكثير حول زمن وتاريخ ظهورها فهناك من الدارسين من أدرج الروايات اليونانية القديمة إلى العصر الإغريقي ومنهم من جعل للرواية بدايتين واحدة للرواية اليونانية أو القديمة في القرنين الأول والثاني، والأخرى للرواية الحديثة في القرن السادس عشر، ويقول أحد الباحثين «إن الرواية من حيث هي جنس حديث (...) قد نشأت في الغرب وفي فرنسا على وجه الخصوص»⁴.

¹ عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، ص13.

² حميد الحميداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، الشراكة الجديدة، دار الثقافة، 1985، ص37.

³ إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيان، محمد علي النجار: المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول، دت، دط، ص384.

⁴ الصادق قسومة، نشأة الجنس الروائي بالشرق العربي، دار الجنوب للنشر، تونس، ط2، 2004، ص84.

المبحث الأول: الرواية واتجاهاتها

الرواية العربية: لم تظهر في العالم العربي إلا مع بداية الاجتياح الاستعماري لأقطارنا المشرقية، وبالتحديد في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، إذ بدأت تبرز ولو بخجل شديد المحاولات الروائية الأولى عند بعض كتاب العرب المسيحيين، وعند أولئك العائدين من البعثات والرحلات العلمية والرحلات إلى أوروبا وخاصة فرنسا.

إن نشأة الرواية كان بفعل الاحتكاك بالأدب الغربي وثقافته ومن بين هؤلاء الكتاب نذكر على سبيل المثال: فرح أنطون، نقولا حداد، جورجي، حسين هيكل وخاصة في رواية زينب التي تعد البداية الحقيقية للرواية العربية المبتكرة إذ بعد نشرها سنة 1914 شاعت الرواية في أقطارنا العربية، مقتبسة أو مترجمة، وانتشرت خاصة الروايات ذات الطابع العاطفي والرومانسي مثل سارة العقاد ودعاء الكروان لطف حسين.

1- نشأة الرواية الجزائرية:

يرى الروائي الجزائري واسيني الأعرج أن النقد العربي عاجل بالنسبة للرواية الجزائرية مرحلة التأسيس وبناء التقاليد، وأين تصنعها في إطار أسرة الرواية العربية، بقوله إنَّ النقد العربي عاجل ذلك بالنسبة للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، فنجد مدرسة الأكرزنيك الأولى، كما جاءت مجموعة أخرى بداية القرن من 1900 حتى 1930 تقريبا الجزائريون الجدد، كذلك مدرسة الجزائر برئاسة الكاتب "ألبيير كامبي" التي طورت الفنّ الروائي، وظهرت اتجاهات.

مدخل نظري

إنّ هذه الاتجاهات حتى وإن لم تكن لها قيمة مقيدة من حيث المضامين تتجلى قيمتها الكبرى في كونها أعطت مبررا لوجود الشكل الروائي في الجزائر وسرعت في ظهور المدرسة الجزائرية مع "محمد ديب، وكاتب ياسين، ومالك حداد وأيا جبار وغيرهم، أخذ وكل ذلك التراث وأصبغوا عليه مضامين ثورية تحريرية. لقد جاءت كتابات هؤلاء الأدباء عامة بين طياتها نبض آلام الشعب الجزائري فكانوا شهودا على جرائم الاستعمار الفرنسي نجد روايات لاقت رواجاً واسعاً أوساط المجتمع الجزائري مع صدور رواية الدار الكبيرة، ثمّ تليها بعدها "الحريق" والنول... إلياذة الجزائر في ظل أجواء القهر بدأت الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية بداية السبعينيات (يمكن أن نلاحظ فيها بدايات ساذجة للرواية العربية الجزائرية سواء في موضوعاتها أو في أسلوبها وبنائها الفني، فهناك قصة مطولة بعض التي كتبها "أحمد رضا حوحو" سماها عادة أم القرى ثم تلتها قصة كتبها "عبد المجيد الشافعي" أطلق عليه عنوان الطالب المكتوب "فهني ساذجة المضمون مثل طريق التعبير فيها)¹.

2- اتجاهات الرواية الجزائرية:

أ- الاتجاه الاصلاحي: (شكل جمعية العلماء المسلمين في هذا السياق الوجه المشرق للفكر الإصلاحي)،² وقد أسس هذا الاتجاه للرواية المكتوبة باللغة العربية، مثل: "عادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو "والطالب المكتوب لعبد المجيد الشافعي.

¹ عبد الله الركي، تطور النشر الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 200/199.

² عبد الله راكي: تطور النشر الجزائري الحديث، ص 200.

ب-الاتجاه الرومانتيكي: الجزائر المستعمرة لم تكن بعيدة عن التأثر بشكل من الأشكال بالتيارات والفلسفات المثالية التي كانت تسيطر على الساحة الثقافية فالحركة الرومانتيكية الجزائرية أخذنا مداها في الاتساع قبل الثورة ونجد روايات مثل ما لا تذروه الرياح لـ «محمد عرعار» دماء ودموع لعبد المالك مرتاض.

ج-الاتجاه الواقعي النقدي: إن النظر إلى الواقع بعدة ظواهر متحدة غير قابلة للانفصال جعلت هؤلاء الكتاب بشكل عام يلتقون في زوايا وحدث مجهوداتهم (وهو بشكل عام نظروا للمجتمع من منظورات تكاد تكون مشتركة إلى حد ما من حيث أن الواقع مركز حي ومتحرك، الفلاح المستغل مثلا)¹ كما لم تغب الثورة الوطنية التي كانت وما تزال تمارس حضورا قويا عند أدباء الواقعية.

د-الاتجاه الواقعي الاشتراكي: بدأ هذا الاتجاه في الظهور على ساحة الرواية الجزائرية في روايات "محمد ديب" و"كاتب ياسين" هذه ساحة أفرزت أدبا جزائريا عربيا مميزا إلى حد بعيد.

تلتها أعمال بدأت تعانق الفن الروائي بوعي قصصي وجدية في الفكر، والحدث والصياغة فكان أول جهد معتبر فيها رواية غادة أم القرى لـ "أحمد رضا حوحو" والتي ظهرت في الأربعينيات حيث تزامنت مع أحداث 8 ماي 1954م، وقد اختلف بالضبط في زمن ظهورها.

فأحمد منور يعتبر غادة أم القرى هي أول رواية جزائرية، وقد سار على منواله "واسيني الأعرج" حيث عدّها أول عمل روائي مكتوب بالعربية في الجزائر، ثم توقف الإنتاج الروائي حتى بداية الخمسينيات وهي مرحلة اندلاع الثورة الجزائرية الكبرى، حيث شهد هذا الحدث ظهور بعض الروايات مثل الطالب المكتوب لـ "عبد المجيد الشافعي" سنة 1915م، ثمّ تلتها رواية الحريق سنة 1957، وبعدها ربح الجنوب،

¹ واسيني الأعرج، النزوع الواقعي الانتقادي في الرواية الجزائرية، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1985، ص35.

وبعدها جاءت فترة الاستغلال وما بعده مرحلة الستينات للأوضاع المزرية والصراعات المحتدمة بين الأحزاب مما انعكس سلبا على الانتاج الأدبي.

3- أهم المواضيع التي تناولتها الرواية الجزائرية:

إنّ الرواية الجزائرية استطاعت على الرغم من العقبات العديدة التي اعترضت مسيرتها أن تقفز قفزات واسعة في عمرها القصير الذي لا يتجاوز نصف قرن، وأن تصنع لنفسها خصوصية صاغتها من خلال الموضوعات التي تناولتها، وخاصة من خلال رواية الأزمة لقد برزت العديد من الموضوعات التي شكلت التميز عن باق الروايات العربية والعالمية وأنتجت أدبها الخاص المتفرد بخطابه ورؤيته.

على غرار الثورة الجزائرية وقصة الكفاح والنضال التي خاضها ضدّ الاستعمار الفرنسي ووحشية وهمجيته، وروايات تتحدث عن شخصيات جزائرية كالأمير عبد القادر، ونجد كتاب وأدباء ظهوروا على الساحة الوطنية بصفة خاصة والساحة العربية بصفة عامة وبرزوا في رواياتهم كأحلام مستغانمي في رواية ذاكرة الجسد، ورواية الأسود يليق بكبي والتي تعتبر من أروع الروايات والتي لقيت رواجاً وانتشاراً واسعاً، واسيني الأعرج في رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد... ولقد تطرقت إلى مواضيع هامة على الصعيد الاجتماعي كالفقر والعنف والطلاق والإضافة إلى مواضيع الحب والزواج، وعلى صعيد العرف كالعرف والهوية والانتماء.

لتبرز هنا واحدة من أروع الروايات العصر الحديث بعنوان "منبوذ والعصافير" للكاتب الجزائري "اسماعيل بيريير" والتي صدرت في طبعتين متزامنتين من دار العين المصرية في الطبعة الجزائرية، وتعتبر الرواية العمل السردي السادس في مسار الروائي، وهي تقترب من عالم مختلف عن رهاناته السابقة، ففي ثلاثية السابقة "باردة كأنثى، وصية المعتوه، مولى الحيرة"، كتب عن المكان ودافع عنه، كما ضبط عدسة على

مدخل نظري

الحركات الداخلية لأبطاله غير أنه في الرواية الأخيرة والتي هي منبوذ والعصافير يختار مكان افتراضيا غير حقيقي، وإن كان في جزء منه هو مكان محتمل في الفضاء الجزائري، ويركز على الشخصوس والسرد والحكاية باقتصاد واضح وأهم ما يميز الرواية هو التركيز، فقد تجنب الروائي الغوص في هوامش الشخصيات والأحداث وحافظ على الموضوع ولبه، فهامش البعض هو لب البعض والعكس، وهذه التقنية في حد ذاتها ميّزت العمل عما سبقه، إذ لا يمكن أن نفهم الرواية بحذف فقرات بسيطة منها، وهو تكامل جميل يكشف النضج الكتابي لدى يبرير أن حاز عددا من الجوائز العربية، ولفت الانتباه إلى طريقته في الكتابة بعد روايته "وصية المعتوه" المتوّجة بجائزة الطيب صالح عام 2013، ونال جائزة محمد ديب قبل سنة عن رواية "مولى الحيرة" كما قدم له المسرح الجزائري يعرض الأعمال المسرحية.

هذه الرواية ضدّ الهويات الضيقة، أليهذا الحد؟ تتجاوز الرواية مفهوم الهوية والضيقة؟ إسماعيل يبرير يقول الرواية فعل معرفي الأكيد أن المعرفة فعل الإدراك العقلي مجرد لاكتشاف غير المكتشف لا تستأنف المطاردة التي بالكاد بدأتها أحمل قفص ربما أجمع فيه كلا أو جزء على الأقل أجهله عن عالم الرواية، كأني بالعمل همه الرواية قبل العصافير ومن تنبذهم بين الخط الأفقي الأبيض المسطح الكتابة والخط العمودي الفالق سودا ونزولا فيها لتظهر محدودتي في المجال.

لكن شغف ربما بمطاردة عصفور مكاني خافق يحكي روايته منذ مارك الألماني الأول حتى مارك الألماني الثاني مرورا بخديجة لالمان وأجيالا تتقاسم البطولة المستقلة من بطل لآخر وكلها تشترك فقي الوجود المتوالي من قصص الحب المذلة بالمنطق الاجتماعي والعرف كأن الحب غفوة ناعمة لا تصمد أمام جزئيات ترابية تتقاسمها مع أهل باب العين؟، الكافي وسر زواجه من ربيكا عاشقة، الوهي والانكسارات المتتالية، فضيلة لمالك مارك الثاني إلى فنان في حضن أمجد بن الفلسطيني الهارب للاستشهاد إلى الطبيبة الأم العازبة

مدخل نظري

إلى الهاشمي المسكون بالوهمي الخالد، مروراً ببرهوم حافظ السر وصولاً للحسون الأوروبي الذي يحمي من الطاعون بسبب كثر الصيادين ونمى الخوف والكراهة.

فهرست الرواية في 5 أبواب من مارك الأول للرواية إلى باب العين فليلي تعود مجنونها إلى الحكايا العالقة قام الكاتب بيرير بنقل ساحر وبلغه شاعرية مشددة رفيعة بالإعراب والرفع الظاهر تنوينا بين بطل وآخر يطارد أخرى يستغل العقل خيالاً وواقعا. فتصبح تشتغل في ربط ما تفلت من مشاهد متداخلة حدّ العودة إلى فصل قرأته سابق لا تهدأ وأنت تفكر في التركيب والتفكيك والهدم والبناء ليظهر ما سمعته من الكاتب نفسه...

إن الرواية فعل معرفي بخط شاقولي يفتت ليجمع، يلّم وشيئا حدّ الإعياء والإنهاك الشهوي، ربما هذا الإجهاد يعتبره بعضهم ليس مجهوداً إذا كان مبالغاً فيه خاصة إذا كانت ومكانية الرواية في باب العين التي تنقب التخمين في معالمها.

الحب كافر بالأديان لا يعترف بمحارب إلاّ دير القلوب، فقد ترك مارك الأول دينه وكفر بالرّب عشقا لخديجة، كما تنفس الكافي في ريكا اليهودية دون أن يلزمها ترك دينها ومعتقداتها كما ذكر في أحد فصول الرواية كانت كورونا عصرهم. سأتوقف في الجزئية التي أحب الوهمي فيها المعلمة السعدية، إذ لم تكن قصة حب عاصفة حتى جعلته قديسا يعشق ليلي ويحمر العصافير وهو الجزء المفضل لنا.

المبحث الثاني: حول الهوية في الرواية

1- تعريف الهوية

أ- لغة: لقد وردت لفظة الهوية في لسان العرب لابن منظور من الفعل هوى، «وهوى بالفتح يهوى هويًا وهويانا وهوى: سقط من فوق إلى أسفل، واهواه هو، يقال اهويته اذن ألقيته من فوق»¹. من خلال هذا القول نجد ان لفظة الهوية عند ابن منظور تحمل دلالات كثيرة بمعنى واحد الذي هو السقوط من الاعلى الى الاسفل. ونجد ايضا في قاموس المحيط عند فيروز ابادي لفظة الهوية كالتالي: «الهوة كقوة ما تهبط من الارض، أو الوهدة الغامضة منها، كاهواء، كرمانة والهوة بالفتح: الجانب والكوة»². وتعني الهوية هنا الحفرة العميقة والغامضة التي يجتمع فيها ماء السماء وكذلك تعني الوهدة الغامضة من الارض لا يفتن اليها كاهواء.

فمصطلح الهوية هو لفظ تراثي قديم، اذ يعرفها الفراي «في كتاب الحروف في مقابل اللفظ الغربي **Altérité** او **Alterity** ويعني الغيرية و هو على نقيض الهوية، وقد تكون الغيري نسبية و ليست كلية، ان يحدد انحراف الهوية و التعبير عنه بلفظ **Aliénation** من لفظ **Alius** و يعني الغير»³. هنا نجد ان لفظة الهوية وما يقابلها عند الفراي هي الغيرية التي تكون نسبية. جاء في معجم الرائد ان الهوية هي «حقيقة مطلقة في الأشياء والاحياء مشتملة على الحقائق والصفات الجوهرية»⁴. فلفظة

¹ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، 1863، مادة (ه-و-ى)، ص 115.

² مجد الدين بن يعقوب الفيروز ابادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة لطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 2005، ص 1347

³ حسن حنفي حسين، الهوية، ط1، المجلس الاعلى لثقافة، القاهرة، 2012.

⁴ <http://www.almaawy.com>

مدخل نظري

الهوية هنا تعني هوية الانسان وحقيقته المطلقة وصفاته الجوهرية. اما في المعجم العربي عامة فنجد ان لفظه الهوية هي: (اسم يستخدم لتعريف مستخدم، او شخص او دور، والهوية تستخدم لمنح الحقوق).¹ بمعنى ان الهوية هنا تستخدم لتعريف بهوية الشخص و دوره من اجل اعطاء حقوقه.

كما عرف "حسن حنفي" انطلاقا من اللفظة واشتقاقها اللغوي وما يعادها في الحرف اللاتيني ويربطها بالانا وبمعناها لدى الفلاسفة قائلا: "الهوية من الضمير هو يتحول الى اسم"². فالهوية هنا جاءت مرتبطة بالأنا عند حس الحنفي واما عند الفلاسفة فقد وردت في الضمير "هو" والمقصود به ان يكون الشيء هو هو. اما في معجم الوسيط نجد ان الهوية في الفلسفة «هي حقيقة الشيء او الشخص التي تميزه عن غيره وبطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله وتسمى البطاقة الشخصية ايضا محدثة»³.

في هذا القول يتضح لنا ان الهوية في الفلسفة تعني حقيقة الانسان المطلقة وصفاته الجوهرية التي تميزه عن غيره بما يثبت فيه اسمه وشخصيته وجنسيته... الخ. كما فسرها تركي الحمد في كتابه: «الثقافة العربية في عصر العولمة»، «الهوية طالما انها مركب من عناصر فهي بالضرورة متغيرة في الوقت ذاتها تتميز فيه بثبات معين مثل الشخص الواحد يولد و يشيب و يشيخ و تتغير ملامحه و تصرفاته و احيانا ذوقه ، لكنه يبقى في الخير نفس الشخص و ليس شخصا اخر»⁴. من خلال ما سبق نجد أن الهوية هنا تختلف

¹ <http://www.almaawy.com>

² <https://www.arabiclanguageic.org>

³ <https://www.arabdict.com>

⁴ م. م. نائر رحيم كاظم، العولمة والمواطنة والهوية (بحث في تأثير العولمة على الانتماء الوطني والمحلي في المجتمعات)، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد 1، جامعة القادسية - كلية الآداب، 2009، ص 258.

مدخل نظري

وتتغير في الوقت نفسه، كالشخص الذي يولد ثم يشيب ويكبر وتتغير ملامحه وفعاله وتصرفاته اذن فهي متغيرة في حين لأخر.

ويمثل لفظ الهوية "لفظ الماهية» عند الفلاسفة اي جوهر الشيء وحقيقته، الهوية تماثل بين الانا و الهو في حين أن الماهية تماثل بين الشيء ونفسه، وهو أيضا لفظ مشتق من أداة الاستفهام "ما"، وضمير الغائب المؤنث "هي" يستعمل في التعريف في حين لفظ الهوية يستعمل في الوجود أما لفظ "جوهر" فهو صورة فنية من المعادن الثمينة ويعني اللب والحقيقة اغلى ما في الشيء»¹ وتعني الهوية هنا حقيقة الشيء وجوهه بحيث انها تماثل بين الشيء ونفسه وهي من ضمير الغائب المؤنث "هي"، كما انها تستعمل في الوجود.

وتعرف الهوية عند الجرجاني في معجم التعريفات بانها: "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"². ومن هنا يتضح لنا ان الهوية في معجم التعريفات حقيقية مطلقة ليست نسبية في الغيب المطلق، اذ يعني أن الغيب هو ما غاب عن الانسان.

ب-اصطلاحا:

تعد الهوية مجمل السمات التي تميز شيئا عن غيره و شخص عن غيره ، لوصف مفهوم الشخص وتعبيره عن فردياته وصفاته وعلاقاته مع الجماعات و في هذا الصدد نجد أن : "الهوية هي السمة الجوهرية العامة لثقافة من الثقافات و الهوية ليست منظومة جاهزة و نهائية و انما هي مشروع مفتوح على المستقبل

¹ جيلالي بوبكر، اللغة والهوية والعولمة بين اللغة والاصطلاح، <https://www.arabiclanguage.org>، تاريخ

المشاهدة 30 جوان 2021

² فيصل الياسري، الهوية والاعلام الثقيفي <https://alarab.com> تاريخ المشاهدة 1 جويلية 2021.

،اي انها مشروع متشابك مع الواقع و التاريخ " ¹ . كما عرف محمد عمارة الهوية بقوله: «ان الهوية كالبصمة بنسبة للإنسان، يتميز بها عن غيره وتتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما ازيلت من فوقها طوارئ الشمس و الحجب، دون ان تخلى مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات» ² . فهنا يرى محمد عمارة ان الهوية هو الشيء الذي يميز الانسان عن غيره وذلك عن طريق تجدد فاعليته.

يقول محمد عابد الجابري ان الهوية: «كيان يصير، يتطور. وليس معطى جاهزا ونهائيا، هي تصير وتتطور، اما في اتجاه الانكماش واما في اتجاه الانتشار. وهي تعني بتجارب اهلها ومعاناهم وانتصاراتهم وتطلعاتهم وايضا احتكاكها سلبا وايجابا مع الهويات الثقافية الأخرى» ³ . وهنا يعني معنى الهوية بانها تنمو وتتطور، كما لها اتجاهان تسيير فيهما وهما الانغلاق والانفتاح. كما يعد موضوع مفهوم الهوية من المواضيع المثيرة للجدل، اذ ان لكل علم له تعريفه الخاص بالهوية مثلا كعلم الاجتماع فالهوية اذن عنده هي: "عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره، اي تحديد حالته الشخصية. فمن خلال هذا القول قد تطرق علم الاجتماع الى تقديم مفهوم حول الهوية والتي هي وصف حالة الفرد الشخصية وفضله لذاته عن غيره والتي من خلالها يشعر الفرد بانه موجود انسان به جملة من الأدوار.

فقد وردت ايضا مفهوم الهوية عند "المرتجي و بوجوحام " اللذان عرفها بقولهما: «يعتبر مفهوم الهوية من بين المفاهيم التي تضخمت بشأها المقاربات والدراسات إلى درجة جعلت المفكر (الفرد جروسر) يعلق بان القليل من المفاهيم هي التي حظيت بتضخيم الذي عرفه مفهوم الهوية وهو أمر يعود الى

¹ م.م تائر رحيم كاظم، العولمة والمواطنة والهوية ص 259

² - محمد عمارة مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، ط1 ، دار نضمة مصر للطباعة و النشر، القاهرة ، 1999 ، ص 6 .

³ جوادي هنية، السرد وتشكل الهوية في رواية "البحث عن العظام" للطاهر جاووت، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، مجلة المخبر ابحاثا في اللغة والأدب الجزائري والعدد 13 ، 2017، ص88.

تتأثر هذا المفهوم على ضفاف تخصصات عدة داخل حقل العلوم الانسانية من الأنثروبولوجية الى السوسولوجيا ومن السيكولوجيا الى علوم السياسة¹. يتضح لنا من خلال هذا القول ان مفهوم الهوية يعتبر من المفاهيم الضخمة والهامة في مجمل الدراسات التي تميزت بالتضخيم وذلك في عدة تخصصات منها السوسولوجيا والاثروبولوجية... الخ.

وعرفها عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر آن الهوية: «حساس الجماعة بالأصل المشترك، وهي التعبيرات الخارجية الشائعة، مثل الرموز والألحان والعادات، وتميز أصحاب هوية ما عن سائر الهويات الأخرى، وتظل هويتهم محتفظة بوجودها وحيويتها، مثل الأساطير والقيم والتراث الثقافي² هنا نجد أن ماكس فيبر يرى بان الهوية هي الأصل المشترك للجماعة التي تعبر عن العادات والرموز والتي تظل محتفظة بالحيوية مثل التراث الثقافي... الخ.

في حين يرى محمود أمين « أن الهوية ليست أحادية البنية، أي لا تتشكل من عنصر واحد، سواء كان الدين أو اللغة أو العرق أو الثقافة أو الوجدان أو الأخلاق أو الخبرة الذاتية أو العلمية وحدها وإنما هي محصلة تفاعل هذه العناصر كلها»³. يبين لنا هذا القول أن الهوية عند محمود أمين لا تبني على عنصر واحد بل تشمل عدة عناصر من بينها اللغة والدين والثقافة، اذن فهي ليست متشاركة مع عنصر واحد بل مع عدة عناصر.

¹ مولاي احمد بن نكاع، ملامح الهوية في السينما الجزائرية، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، قسم الفنون الدرامية كلية الأدب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2012-2013، ص 32.

² - علي عبد الرؤوف علي، الاندماج الاجتماعي بين مآزق الهوية وفخ العولمة تحديات وتحولات عمران المدينة الخليجية المعاصرة، جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014، ص 443.

³ - ناصر بن سعيد بن سيف السيف، الهوية والثقافة، 1435هـ، ص 5.

إذ « يعد مفهوم الهوية من المفاهيم المركزية التي تسجل حضورها الدائم في مجالات علمية متعددة ولاسيما في مجال العلوم الانسانية ذات الطابع الاجتماعي، ويعد بالتالي من أكثر المفاهيم تغلغلا في عمق حياتنا الثقافية والاجتماعية اليومية، ومن أكثرها شيوعا واستخداما»¹. ان هذا التعريف يوضح لنا أن مفهوم الهوية من المفاهيم الدائمة الحضور في شتى المجالات منها العلمية والانسانية والاجتماعية. فهي الاكثر استعمالا وعمقا في الحياة الاجتماعية والثقافية.

ونجد ايضا تعريف اخر للهوية الذي هو «هو علم وفن وأساس صناعة الحضارة الانسانية وتطويرها، بداية من الوعي بالذات الخاصة وممكنات الفعل المتاحة والمتوقعة، ثم رسم مكان مستقبلية في العالم، والمشاركة في فرض واقع حضاري جديد على العالم»². فالهوية إذا هي فن من فنون الصناعة التي تقوم بتطوير الممكنات الحضارية الشعوب على مستوى الابداع والابتكار ورفع مكانة ملائمة في المستقبل وصنع واقع حضاري حديث على العالم.

وعلى ضوء ما سبق فان الهوية تمثل «رابطة روحية ضميرية بين الفرد و امته، بمقتضاها يسعى الى اعلاء شأن هذه الأمة ورفع مكانتها بين الأمم، كما تحتم هذه الرابطة على الفرد أن يعيش مدركا لمقومات ذاتية أمته العربية»³. فالهوية إذن هي الرابط المشترك بين الفرد وأمته الذي يسعى الى رفع مكانة هذه الأمة بين كل الأمم، وهذا الرابط جعل الفرد يعيش من اجل مقومات نفسية امته العربية.

¹ اليكس ميكشيللي، الهوية، ت.د على وطفة، ط1، دار النشر الفرنسية، دمشق، 1992، ص7.

² د. ابراهيم الديب، بناء مفهوم الهوية وادوارها الوظيفية في صناعة هوية الدولة الحديثة، حقوق الطبع محفوظة، ص 4.

³ - الخنساء تومي، دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي، اطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع. تخصص علم اجتماع اتصال، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2016-2017، ص142.

كما «يمثل مفهوم الهوية أحد المحاور الفكرية الثقافية الهامة التي تستقطب جهودات المفكرين والباحثين المعاصرين بل وتعد من اجلها المؤتمرات والمنتديات الثقافية والفكرية لتناول حقيقة مفهوم الهوية واتصاله بمقومات أمة من الأمم¹. إذن الهوية تعد من أهم المظاهر الفكرية والثقافية التي استقطبت طاقة المفكرين والآراء والتي تعقد فيها المؤتمرات من أجل تحديد مصطلح ومفهوم الهوية وعلاقتها بالأمم.

والهوية «هي مجموع العوامل التي تمنح الإنسان بصفاته الفردية، والمجتمع بصفته مجموعة روابط الشعور بالوجود والانتماء والمصير المشترك»². هنا الهوية تعني الوجود والانتماء بصفة مشتركة التي تشمل مجموعة من الروابط منها المجتمع، اذن فالهوية ترمز هنا الى الشعور والاحساس بالوجود. أما الفرابي فيعرف الهوية "على أنها الشيء بعينه ووحدته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد"³. هنا يرى الفرابي أن الهوية هي هوية الشيء وغيبته وخصوصيته والوجود المنفرد الذي لا يقع فيه اشتراك.

وقد وردت الهوية عند أرسطو كونها تطلق "على ما هو متطابق، سواء احوالت على وحدة شيء، او شخص مختلف تمام عن غيره رغم تعدد التسمية، أو من جهة تماهيه مع نفسه وبقائه هو ذاته"⁴. ويتمحور معنى الهوية عند أرسطو حول المطابقة أو المماثلة، وأيضا حول الاختلاف وهذا يدل على ان مفهوم أرسطو للهوية فيه علاقة جدلية الى حد ما.

1 - د. مهند غازي الزامل، مفهوم الهوية الثقافية، <http://www.addustour.Com>. تاريخ المشاهدة 6 جويلية 2021.

2 محمد الغيلاني، الهوية والاختلاف في قضايا الدين والمجتمع، <https://www.mon inoun.com>، تاريخ المشاهدة 7 جويلية 2021.

3 منير بركاني، تعريف الهوية، وظائفها وانماطها، <http://www.tadwina.Com>، تاريخ المشاهدة 7 جويلية 2021.

4 جلييلة الملبح الواكدي، مفهوم الهوية، مركز النشر الجامعي، د ط، 2010 ص 18.

الفصل الأول:

أبعاد الهوية

تمهيد:

يعد موضوع الهوية من المواضيع المثيرة للجدل بحيث أنها تعبر من كيان وانتماء الأفراد والجماعات في إطار الدولة، إذ يستلزم البحث في أبعاد الهوية كونها مرتبطة بالعمليات السياسية للأفراد والجماعات، وللهوية عدة أبعاد منها الثقافية، الاجتماعية، الدينية... إلخ، التي تمثل المحددات الأساسية للدولة والتي تساهم أيضا في تحديد طبيعتها وبنائها كمدى على استقرار مؤسساتها.

المبحث الأول: الهوية الدينية والوطنية

1- الهوية الدينية:

يعتبر الدين نظام اجتماعي ثقافي من السلوكات المعينة والأخلاق التي تربط الانسانية بالعناصر الخارقة للطبيعة، كما أنه يعد بمثابة دستور لأي مسلم عربي وهو مرجعيته وخلفيته التي يتكئ عليها وبلا سلام تنتظم المجتمعات وتسير وفق قواعد الدين الحنيف.

ولقد ورد تعريف الهوية الدينية عند خليل نوري مسيهر العاني بقوله: «إن الهوية الاسلامية تعني الايمان بعقيدة الأمة، ولاعتزاز بالانتماء اليها واحترام قيمتها الحضارية والثقافية وإبراز الشعائر الاسلامية والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ والشهادة على الناس، وهي أيضا محصلة ونتاج التجربة التاريخية لأمة من الامم وهي تحاول اثبات نجاحها في هذه

الحياة»¹. من خلال هذا التعريف نجد ان الهوية الدينية هي الايمان والاعتزاز والفخر بالانتماء للامة الاسلامية وذلك من خلال اداء القواعد والاسس الاسلامية والتمسك بها.

وعموماً «إن الهوية عند المسلمين هي أكثر أهمية والإسلام بعقيدته وشريعته وتاريخه وحضارته ولغته هو هوية مشتركة لكل مسلم»². من خلال هذا التعريف يمكن أن نقول إن للهوية أهمية كبيرة عند المسلمين، فهي تمثل الهوية الأساسية والرسمية لهم، كما أن للهوية مكونات عدة مشتركة بين كل مسلم والتي هي الشريعة، التاريخ، العقيدة، الحضارة... الخ.

« ولعل القيمة المضافة لدى الانسان المسلم، هي ان العقيدة الاسلامية تشكل الاطار الديني و الاخلاقي التي يشهد كينونة الهوية و صيرورتها، ما يجعلها تنضبط لروح الاسلام وتوجيهاته، وتتلون بتعاليمه وشعائره»³. فالعقيدة الاسلامية هي الأساس الذي يقوم عليه الدين والأخلاق، فهي التي دلت عليها اصول الاسلام من الكتاب والسنة، إذ إنها موجودة ودائمة في الهوية مما أدى بها الى الانضباط لروح الاسلام والتلون بشعائره وأساليبه.

من خلال ما سبق يذكر الكتاب أن الانطواء تحت الهوية الاسلامية والاندماج فيها ليس أمراً اختيارياً ولا مستحباً ولكنه فرض معين على كل بني آدم المكلفين، إلى أن يرث الله ومن عليها قال عز وجل: «قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً»⁴. هنا نجد أن الأمة تدعو الناس الى الهوية الاسلامية باعتبار انها ليست أمراً اختيارياً بل هي فرض على كل مسلم. فالهوية الاسلامية أيضاً «تجمع وتوحد تحت لوائها، جميع المنتسبين اليها،

¹ خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الاسلامية في زمن العولمة الثقافية ص 45.

² د. قاسم بن محمد بن المهلهل الياسين ط1، شركة السماحة لطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، 2012، ص 11.

³ د. التيجاني بولعوالي، بين الهوية الاسلامية وقيم العولمة، د-ط، رابطة العالم الاسلامي، مكة المكرمة، 2010، ص 10.

⁴ محمد بن احمد اسماعيل المقدم، الهوية الاسلامية، <https://www.albayan.ac>، تاريخ المشاهدة 15 اوت 2021.

الفصل الأول:----- أبعاد الهوية

وتربط بينهم برباط وثيق، قال الله تعالى: «إنما المؤمنون اخوة»¹ ويقصد هنا ان الهوية الاسلامية تقوم بتوحيد الناس اليها وتربط فيما بينهم بربطة أساسية، وتجعلهم اخوة فيما بينهم والدليل على ذلك قوله تعالى الذي تطرقنا اليه في المقالة.

يعرفها " أمين معلوف " على أنها « تتشكل من انتماءات متعددة، ولكن من الضروري ان نشدد بالقدر ذاته على حقيقة انها واحدة، وأنا نعيشها بوصفها كلا متكاملًا، ليست هوية الشخص تراكما لانتماءات انتقالية ليست رقعا، انما رسم على بشرة مشدودة، ويكفي المساس بانتماء واحد لكي ينتفض الشخص بكليته»². ونخلص من هذا القول إن الهوية تتعلق بمقوماتها الاسلامية الثابتة كالعقيدة الاسلامية فهي اذا بانتماء واحد منها يكفي للشخص ان ينتفض بكليته.

«والهوية الاسلامية في الحقيقة هي الانتماء الى الله ورسوله والى دين الاسلام وعقيدة التوحيد التي اكمل الله لنا بها الدين وات علينا بها النعمة، وجعلنا بها الأمة الوسط وخير أمة اخرجت لناس ، وصبغنا بفضلها بخير صبغة " صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة نحن له عابدون»³. من خلال هذا التعريف نجد إن الهوية الاسلامية هي التوجه الى الله عز وجل ورسوله والانتماء أيضا الى الدين السلامي، والايمان الجازم بالله تعالى. إذا ما تساءلنا عن هوية ثقافتنا العربية الاسلامية التي هي جوهرها وحقيقتها وثوابتها، فإننا نستطيع ان نقول: ان الإسلام فمنذ أن تديننت به أغلبية هذه الأمة قد أصبح هو الهوية الممثلة لأصالة هذه الامة. فهو الذي طبع ويطلع وصبغ ويصبغ ثقافتنا بطابعه وصبغته ... ولذلك نستطيع القول ونحن مطمئنون كل الاطمئنان، إن ثقافتنا اسلامية الهوية وأن معيار الدخول والخروج في ميدان ثقافتنا، والقبول والرفض فيها هو

¹ التجاني بولعوالي، بين الهوية الاسلامية وقيم العولمة، ص20.

² التجاني بولعوالي، بين الهوية الاسلامية وقيم العولمة، ص23.

³ صراع الهويات وخصائص الهوية الاسلامية <https://www.islamweb.net>، تاريخ المشاهدة 16 اوت 2021

المعيار الاسلامي¹. فالهوية الاسلامية هنا هي الاصلة الثقافية لكل امة باعتبارها الطابع الذي يطبع ويصبغ بصغته، اذن فهي تقوم على الدين الذي يبني على المعيار الاسلامي.

و« تتكون الهوية الدينية من خلال الايمان بذات الالهية جديرة بالطاعة والعبادة، وهذا الايمان مبني على نصوص دينية توفر جملة من العلامات الفارقة لهذه الهوية الدينية»². فالهوية الدينية إذن هي الايمان المبني على نصوص دينية التي تشكل نوع من انواع العلامات الفارقة لهذه الهوية. الهوية تعني الذات والإحساس بالانتماء إلى منظومة راسخة تعطي الفرد خصائص منفردة.

تجسدت الهوية الدينية في الرواية لدى شخصيات عديدة.

شخصية الوهي: واسمه الحقيقي عيسى العرباوي، أوسي عيسى الطالب لكنّه فقد هذا الاسم بعد قصته مع سعدية فأصبح يدعى بالوهي، فهو إنسان أحب المعلمة سعدية إلى درجة الهيام هذه الأخيرة رفضته وفضلت الزواج بشخص له زوجة وأبناء على الزواج به، الوهي الذي يقيم في كوخ على ضفة الوادي شخصية تحمل في كيانها الهوية الإسلامية، فهو إنسان مسلم والعبارة التي تدل على ذلك «بدأ الوهي إماما في بعض الوقت، يوم الشيوخ في مسجد باب العين ومعلم قرآن يقرأ الكتب في الكتاب»³، فعبارات القرآن الكريم والمسجد والإمام عبارات تجسّد الدين الإسلامي وعلى التزام الوهي به قبل أن يدخل في دوامة حزن بعد زواج محبوبته.

– **مارك الألماني:** وهو الذي هاجر إلى الجزائر منتقلا من ألمانيا بعد جريمة قتل بشعة، راحت ضحيتها زوجته الأولى التي أرهاها قتيلة، انتقل مارك إلى العين وكان مشرفا على البناءات الجديدة في المنطقة، وقد أعجب بفتاة

¹ محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ص 6-7.

² يسوع نور العالم، الهوية الدينية، <https://www.jesuswl.com>، تاريخ المشاهدة 17 أوت 2021.

³ الرواية، ص 30.

جزائرية تدعى خديجة، لقد تحول مارك إلى إنسان مسلم وقد صور لنا السارد في العبارة التالية: «و حين غدا يفهم كانت الفتاة قد تمكنت من قلبه الغريب كان عليه أن يشهر إسلامه يتزوجها، ورغم فارق السن بينهما»¹ وتجد أيضا في العبارة «أسلم مارك الجد في مسجد الحي الأول في المدينة وأقيم له احتفال ترحيبي»².

وفي عبارة أخرى « حين تزوج خديجة التزم الصلاة وصار يعتمر عمامة في بعض الوقت وخلال سنوات قليلة تحول إلى رجل من القوم، يحمل عصا ويلف يديه خلف ظهره متجها صوب المسجد»³، وعبارة «انخرط تماما في هويته الجديدة»⁴ أن أغلب الشخصيات المحلية كانت لها هوية مسلمة ونجد خديجة الفتاة الجزائرية التي لم تتزوج مارك الألماني إلا بعد إسلامه، وفي حين تجد هجرة الغرباء للبلدة وأخذها على سبيل المثال مارك الذي لم تكن تعرف عنه شيء سوى أنه جاء من ألمانيا ولا تعرفه ما هو دينه سوى أنه أسلم بعد زواجه.

محسن: وهو ابن الكافي وزوينة، محسن الذي تزوج بأ م النون وأحب سيموت وتسيد البلدة وكان من أشرافها واكتسب مكانا مرموقا بين أعيانها وهذا بعد وفاة والدي الكافي، يحمل هوية دينية مسلمة، ولعل العبارة التي جسدت هذه الهوية في الرواية هي: « لا أحد من أهل البلدة يعرف سبب اعتقال محسن في هذه السن، لقد كان رجلا محترما على الدوام، ولم يسمع صوته منذ سنوات، ليس لديه إلا مشوار واحد بين بيت الكافي والمسجد، وقليل ما يمضي صوب غابة»⁵ كما نجد الهاشمي الذي تأثر بالوطني وكان يمشي على خطاه.

¹ الرواية، ص 16.

² الرواية، ص 16.

³ الرواية، ص 16.

⁴ الرواية، ص 16.

⁵ الرواية، ص 142.

الفصل الأول:----- أبعاد الهوية

ونجد كذلك شخصيات أخرى انتقلت إلى البلدة وهي تحمل هوية أخرى غير الهوية المسلمة متجسدة في شخصية موريس بن كوهين اليهودي: وهو الذي يحمل هوية يهودية جاء إلى بلدة العين حاملاً معه العصفور ليحميه من الطاعون في الأخير باعه بثمن كبير.

ريبكا بنت كوهين والتي تحمل الهوية اليهودية وهي زوجة الكافي التي هربت من بيت أهلها وتخلت عن كل شيء فقط من أجل الزواج بالكافي والبقاء بجانبه. ونجد عبارة للساد « يصغي إلى خاله وهو يحشي النبيذ، ويحكي عن الفتاة اليهودية ويصفها بكثير من الرقة»¹. كما تجسدت في عبارة التي قالتها ليلى في حوارها مع محسن:

- من أين جئت؟

- من بيت أبي إلى بيت أبيك،- ومن كان والدك؟- هل التقيت من وشى لك بشيء؟

- يقولون إنه تاجر يهودي؟- من الذي يقول؟ الجواهر- بنت الرومية؟

- كيف- كيف بنت الرومية أو اليهودية- أنا يهودية، أين المشكل؟ هل أذيتك يوماً؟ هل أذيت أهلك؟ هل طلبت منكم أن تصيروا يهود؟²

2- الهوية الوطنية

إن الهوية الوطنية تعتبر أرض وطن وحرية وانتماء، فهي تفهم على أنها هوية الشخص المرتبط بالأمة التي ينتمي إليها، إذن أنها تمثل واحدة من أهم المظاهر في العصر الحديث والتي تصطدم وتكافح من نواحي كثيرة مع

¹ الرواية، ص 124.

² الرواية، ص 76.

القرية العالمية. «فالهوية الوطنية إذن في كل أمة هي الخصائص والسمات التي تتميز بها، وترجم روح الانتماء لدى أبنائها، ولها أهميتها في رفع شأن الأمم وتقدمها وازدهارها، وبدونها تفقد الأمم كل معاني وجودها واستقرارها، بل يستوي وجودها من عدمه، وهناك عناصر للهوية الوطنية لا بد من توفرها، وقد يختلف بعضها من أمة أخرى»¹.

- فالهوية الوطنية هنا هي من الصفات التي تتميز بها كل أمة، بحيث تكمن أهميتها في الاعتزاز بالوطن وزيادة الرغبة بالاهتمام به وتطويره وبدون هذه الهوية لا يمكن لأمة من الأمم أن تستقر، فوجودها هو الذي يمنح للامة العيش والاستقرار. كما تعرف «الهوية الوطنية على أنها مجموعة من الخصائص التي تلازم شعبا ما والتي ينفرد ويتميز بها عن سائر الشعوب الأخرى وتتعلق بإبراز أحوال روحية وفكرية وسيكولوجية جماعية يتميز بها شعب من الشعوب، ترسخ له الوجود على قطعة من الارض عرف بها وعرفت به»². من خلال هذا القول نجد أن الهوية الوطنية هي الميزة التي يتميز بها الشعب عن الشعوب الأخرى وذلك من خلال الاحوال الفكرية والاجتماعية.

- وتعرف أيضا «الهوية الوطنية بأنها الشكل القومي للحياة التي يعيشها الفرد داخل مجتمعه بشكل غير طوعي أو مختار من قبله، ويتحكم في الهوية الوطنية بعض السمات مثل اللغة، الأخلاق، والعادات المجتمعية الموجودة في المحيط»³. يقصد هنا أن الهوية الوطنية هي الحياة القومية التي يعيشها الفرد في المجتمع، ومن بين الصفات التي يحملها نجد: الأخلاق، العادات، اللغة.

¹ ابراهيم العبيدي، مفهوم الهوية الوطنية، [https:// mawdoo3.com](https://mawdoo3.com)، تاريخ المشاهدة 25 أوت 2021.

² مراد طالب، العربي حموش، قضايا الهوية الوطنية في كتابات المؤرخ يحيى بوعزيز، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2016-2017، ص31.

³ ناهد عبادة، أهمية الهوية الوطنية، <https://sotor.ccom>، تاريخ المشاهدة 26 أوت 2021.

- إن جوهر الهوية الوطنية هو العصبية التي تربط الفرد بمجتمعه، فهي "ليست مجرد التمايز في المناقب أو الوضوح في معالم الشخصية، بل هي أقرب ما يكون إلى حس الأمن الغرائزي وهي ليست قرارا عقلايا أو خيارا مسببا، وهي ليست تبادلا في المصالح أو وسيلة للمكاسب أو المشروع المشترك، بل هي حالة نفسية وعاطفية ووجدانية، لا يعنى صاحبها بأسبابها العلمية أو بنتائجها العلمية"¹. الهوية الوطنية إذن هي الشيء الذي يرتبط الفرد بالمجتمع، فهي تمثل الحالة النفسية والعاطفية مما جعلها تكون أقرب من الحس الغرائزي.

- كما أن "الهوية الوطنية تساهم مع الانظمة السياسية والاقتصادية، ومع الغرائز والاحتياجات الانسانية في تعبئة القوى البشرية والاجتماعية في المحن والازمات وابرار العواطف المشتركة بينها، وتعظيم الجهد والطاقة الفردية والبذل والتضحية والمهمة العالية"²، فالهوية إذن هي مجموعة من الغرائز التي تساهم سواء في الانظمة السياسية أو الاقتصادية، وذلك في بذلك الجهد والتضحية.

الحاج الكافي: هو شخصية جزائرية يعيش في مدينة العين الواقعة في الجزائر، وهو الذي تزوج بزويينة قبل أن يتنكر لها، وتزوج أخرى وهي المعلمة سعدية، الكافي الذي يستعمل العربية وهي اللغة المستعملة في الجزائر، ويحمل ميولا سياسية وتحسد ذلك في عبارة «تنوشح البلدة الأعلام الوطنية، نهاية جوان 1965 أفراد من الجيش عبروها بكثير من الفرح، بينما الكافي بيته إثر انقلاب هواري بومدين على أحمد بن بلة"³ (انخرم العرب في حربهم مع إسرائيل، وتضاعف قهر الكافي الذي لم يعد يحتمل البقاء مع أهله"⁴.

¹ وهيب الشاعر، الأردن الى اين؟ الهوية الوطنية والاستحقاقات المستقبلية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص 17.

² وهيب الشاعر، الأردن الى اين؟ الهوية الوطنية والاستحقاقات المستقبلية، ص 19

³ الرواية، ص 42.

⁴ الرواية، ص 42.

إنّ الكافي مرتبط بقضايا وطنه الجزائر ارتباطا كبيرا وبقضايا الأمة العربية بالإضافة إلى الحاج الكافي نجد خديجة وفضيلة ومارية والمعلمة سعدية وسليمان القصاب وشخصيات أخرى نموذج لمجموعة من الأشخاص يمثلون المجتمع الجزائري ويعيشون في مدينة العين الواقعة في الجزائر، لديهم عادات وتقاليد وأعراف كما يشتركون في اللغة العربية، ونجد سليمان القصاب الذي كان نائبا واستشهد في الثورة التحريرية من أجل بلده وشرف وطنه.

المبحث الثاني: الهوية الثقافية والاجتماعية

1- الهوية الثقافية:

تعتبر الهوية الثقافية بمثابة بطاقة شخصية لكل فرد، فهي التي تميزه عن غيره من الافراد وتثبت خصوصيته وتحقق وجوده بينهم من خلال ثقافته، اضافة الى هذا تعرف ايضا على انها مركب متجانس من الذكريات والقيم والتطلعات لشخص ما أو مجموعة ما. وبهذه المجموعة تتشكل امة بهويتها التي تختلف من مكان لآخر في العالم. اذن فالهوية الثقافية هي « عبارة عن عدد من التراكمات الثقافية والمعرفية، سواء كانت تلك المعارف تأتي انطلاقا من تقاليد وعادات في العائلة والمجتمع المحيط به، عاشها الفود منذ لحظة ميلاده فكانت الاساس في تكوينه طيلة ايام حياته ، وأصبحت جزءا من طبيعته او انطلاقا من الدين»¹. فالعنى هنا إن الهوية الثقافية هي مجموعة من الاشكال الثقافية المعرفية والأساسية من عادات وتقاليد التي يعيشها الفرد طيلة حياته.

كما عرفها ابراهيم الحسين في كتابه الهوية الثقافية بالصحراء « بأنها الهوية الثقافية و الحضارية للأمة هي القدر الثابت والجوهرية والمشارك السمات والقسمات التي تميز حضارة أمة عن غيرها من الحضارات والتي

¹ غادة الحلايقة، مفهوم الهوية الثقافية، <https://www.mawdoo3.com>، تاريخ المشاهدة 17 اوت 2021.

تجعل الشخصية الوطنية او القومية طابعا تتميز به عن الشخصيات الوطنية القومية الأخرى»¹. ومنه فالهوية الثقافية إذن هي الجوهر المشترك الذي يميز حضارة أمة عن غيرها من الحضارات باعتبارها طابعا يتميز بالشخصية الوطنية التي تميزه عن الشخصيات الوطنية القومية الأخرى.

ونجد أيضا تعريف اخر للهوية الثقافية « هي هوية متغيرة بالضرورة لا تعرف الثبات ما ضل تاريخها يمر بمراحل من التحول والتغير اللذين ينتجان عوامل محلية وعالمية في ان واحد»². والمقصود بالهوية هنا انها ليست كيان ثابتا، وان هي كيان فعال مع كل الظروف المعيشية المحيطة به. ولقد ورد ايضا تعريف الهوية الثقافية عند فاطمة الزهراء سالم بقولها "هي جملة الخبرات الاجتماعية والحكمة الاخلاقية والدينية والاتفاقات الأيديولوجية النظرية التي يصوغها مجتمع ما، بحيث تصبح تلك الخبرات والاتفاقات النظرية قوانين ملزمة ومحكات أساسية، ليس من اليسير اختراقها او العبث بها او محاولة تغييرها إلا من اجل تطويرها والارتقاء بها»³. من خلال هذا التعريف يمكن ان نقول إن الهوية الثقافية عند فاطمة الزهراء سالم مربوطة كل الارتباط بالهوية الاجتماعية أو الجماعية فهي عندها جملة الخبرات الاجتماعية.

كما نجد أيضا أن مفهوم الهوية الثقافية يتسم بكثرة معانيه المتعددة، لأنه مفهوم حديث النشأة، وقد عرف تعريفات وتأويلات عدة، وكانت الولايات المتحدة من عرفها خلال الخمسينات، مفاده الهوية الثقافية وتمثل

¹ د. زينب ابراهيم، تعزيز الهوية الثقافية <https://www.multaqaasbar.com>، تاريخ المشاهدة 18 اوت 2021

² جابر العصفور، الهوية الثقافية <https://www.alamayad-eeen.net>، تاريخ المشاهدة 20 اوت 2021.

³ مولاي احمد بن نكاع، ملامح الهوية في السينما الجزائرية، شهادة دكتوراه، اشراف بن ذهبية، كلية الادب واللغات والفنون، قسم الفنون الدرامية، جامعة وهران، 2012-2013، ص 85.

الهوية الثقافية في أنها تحدد سلوك الافراد والجماعات وهي مستقرة نوعا ما، وتأخذنا مسألة الهوية الثقافية الى مسألة أكثر انفتاحا واتساعا هي مسألة الهوية الاجتماعية والتي هي أحد مكوناتها¹.

المراد ايضا بالهوية الثقافية «تلك المبادئ الأصلية السامية التي تنبع من ذات الفرد، فتلك هي جوهر الانسان التي تمثل كيانه الشخصي الروحي والمادي بتفاعل صورتي هذا الكيان والهوية الثقافية تمثل جميع الجوانب الحياتية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية والمستقبلية للجماعة الواحدة، وهي ايضا ذاتية الانسان وصفائه وجماليته وقيمته لأن الثقافة تعتبر بمثابة المحرك، فهي جسر من جسور التواصل لأي حضارة او أمة»². بهذا هي تعبير عن كيان معنوي له حياته وحركته الديناميكية التي تساعده على أن يتفاعل مع كيانات معنوية أخرى وأن ينمو بسرعة أو ببطء، وأن يواجه ما يعترض سبيله من مستجدات بأساليب مختلفة تتناسب مع ما يميزه من العناصر السابقة³. ومنه فإن الهوية الثقافية هي التعبير عن ماهو معنوي، ومواجهة كل ما يعترض سبيلها من أساليب تميزها عن العناصر الأخرى.

وعرفها أحمد بن نعمان بأنها: «مجموع الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى ، المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون اليها والتي تجعلهم يعرفون ويتميزون بصفاتهم تلك عن سواهم من افراد الامم⁴. من خلال هذا القول نرى أن الهوية الثقافية هي مجموعة من السمات الثقافية التي تميز ابناء مجتمع

¹ ينظر: ديبس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط1، 2007، ص 148.

² ينظر: زغو محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، الأكاديمية لدراسات الاجتماعية والانسانية، جامعة حسيبة بن بوعللي، شلف، 2010، ص94

³ عبد الحليم محمد اسماعيل، الهوية الثقافية <https://www.aranthropos.com> ، تاريخ المشاهدة 21 اوت 2021.

⁴ د. ثناء هاشم محمد، الهوية الثقافية والتعليم في المجتمع المصري، مجلة كلية التربية، عدد يناير، الجزء الاول، جامعة بني سويف، 2019، ص 127.

معين عن غيرهم من ابناء المجتمعات الأخرى، وتولد لديهم من الشعور بالألفة والتماسك الاجتماعي والاحساس بالانتماء لهذا المجتمع.

ويرى الجابري أن "الهوية الثقافية تتحرك في ثلاث دوائر متداخلة ذات مركز واحد وعليه نخلص انها تتكون من ثلاث مستويات وهي: الهوية الفردية والهوية الجماعية والهوية القومية، والمستويات الثلاثة علاقتها غير مستقرة وتتحرك فقط حسب مصالح كل من هاته الهويات¹.

في الأخير نستنتج ان الهوية الثقافية رغم تعدد تعاريفها إلا انها تحمل معنى واحد، باعتبار انها كيان يمكن ان يتطور ويزدهر، ولا يمكن ان نحددها بشكل نهائي بحيث انها يمكن ان تسير في اتجاه التقلص والانكماش او باتجاه الانتشار، كما ان الهوية الثقافية تعني الشعور بالانتماء الى مجموعة، وهو جزء من مفهوم الشخص الذاتي ونظرية الفهم الذاتي الذي يرتبط بالجنسية والدين والطبقة الاجتماعية الخ، او نوع من انواع الفئات الاجتماعية التي لها ثقافتها الخاصة بها.

لقد تجسدت عدة مظاهر للهوية الثقافية في رواية منبوذ والعصافير لإسماعيل بيرير.

نجد الهوية الثقافية لدى ريبكا وهي فتاة يهودية تخلت عن أهلها وغيرت اسمها إلى زوينة، وتزوجت بالكافي وأصبحت تعيش في بلدة العين ليلي التي اتخذت الحب مبدأ لها، وحين تخلت عنها الكافي وتزوج عليها قررت البقاء مع أولادها، وحضرت الكسكسي واللحم وهو الطبق التقليدي المفضل لدى المجتمع الجزائري ويقام كثيرا في الأعراس والمناسبات «كان الحاج الكافي يلتقط الفتاة من فرحها إلى عالمه الغريب، وكانت زوجته لا

¹ ينظر: رضا شريف، الهوية العربية الاسلامية واشكالها العمولة عند الجابري، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، د ط، 2011، ص 19.

تلوي على شيء، وهي العربية التي لا أهل لها صمتت وأدارت شؤون العرس وحضرت الكسكسي واللحم»¹.

زينة لم تهتم بهوية فقط أرادت البقاء من حبيبها الكافي الذي تنكر لها، وأصبحت بعد وفاة زوجها تدعى ليلي إذ أسست مملكة حكي نسوية توازي مملكة الوهي، أصبحت لها مكانة مرموقة وبفضل الحكايا التي كان يقصها الوهي في مجلسه كانت تستمع له سرًا «كانت تجلس أسفل النافذة وتلتقط أخبار البلدة، حتى الأسرار تتملص وتستقر بأذنها، خلال سنوات من الإصغاء عرفت الناس من أصواتهم: واكتشفت حكايات البيوت المقفلة، لم يكن أحد ينتبه للنافذة الصغيرة الضامرة، تشكل لديها مخزون جعلها تؤسس مملكة حكي نسوية»².

الوهي: رجل كبير في السن ويتنادونه بسي عيسى يقيم في كوخ ولديه معزة عرف الوهي بحكاياته الكثيرة التي لا تنتهي وكان يقصها على صديقه الشاوي ولخضر كان الوهي حكاءا في الغد سيحكي لهما حكاية مكررة، وسينشغلان بالإصغاء وبتقليده طالما يقحم أبيات شعر «وكلاما ساحرا وسط الحكايات»³ وكان يتحدث باللغة العربية.

ويرتدي القشايية وهي اسم محلي للجلابة التي يتخذها الرجال في الشتاء، وتصنع من الصوف أو الشعر وأغلاها وأجودها من الوبر، القشايية زي تقليدي خاص في المجتمع الجزائري يرتديه الرجال والعبارة التي تدل على

¹ الرواية، ص 41.

² الرواية، ص 51.

³ الرواية، ص 31.

ارتداء الوهلي لهذا اللباس «بينما تمدد الوهلي في ظلال غرفته، لم ينزع عنه قشايته الصوفية ولا برنسه الذي يلفه أعلى القشايبة»¹.

2- الهوية الاجتماعية:

إن الهوية لشعب ما تتجلى في سجام هذا الشعب مع خصوصيته التي تجعل منه، أولاً، ما هو عليه، وتميزه ثانياً، عن كل الشعوب الأخرى. من هنا نستطيع تعريف الهوية الجماعية بأنها تعني الخصوصية والتميز، لذلك لا يخلو أي مجتمع من المجتمعات من هويته الاجتماعية.

لقد ورد تعريف الهوية الاجتماعية عند "اليكس ميكشلي" بقوله «الهوية الاجتماعية *l'identité*

sociale تشير إلى مجموعة المعايير التي تسمح بتعريف فرد أو جماعة ما على نحو اجتماعي وهي بالتالي المعايير التي تسمح للفرد باستحواذ وضعيته الخاصة في إطار مجتمعه، و بعبارة أخرى تعني الهوية الاجتماعية السمات والخصائص التي تضيء على الفرد من قبل عدد كبير من الأفراد الآخرين والجماعات الأخرى في المجتمع»². هنا يظهر لنا أن الهوية الاجتماعية هي وحدها لديها القدرة على إعطاء الفرد دوره ومكانه المناسب داخل المجتمع.

كما نجد "دنيس كوش" تطرقت بدورها إلى الهوية الاجتماعية بحيث تقول: «إن هوية الفرد الاجتماعية تتميز بمجموع انتماءاته في النسق الاجتماعي: الانتماء إلى صنف جنسي و إلى صنف عمري و إلى طبقة اجتماعية و إلى أمة... والهوية الاجتماعية استدماج وإقصاء في آن معا: إنها تحدد المجموعة (يعتبرون أعضاء في المجموعة من كانوا متمثلين من ناحية ما، وتميزها عن المجموعات الأخرى) (التي تختلف أعضائها عن

¹ الرواية، ص 33.

² اليكس ميكشلي، الهوية، 111

الأولين، من الناحية ذاتها)، إن الهوية تبدو من هذا المنظور ككيفية تصنيف لتمييز نحن /هم قائمة على الاختلاف الثقافي¹. ومن خلال هذا القول نستنتج ان الانتماء مطلب اساسي للفرد وان الاختلاف والتمييز ضرورة لا مفر منها.

ويعرف ألكسندر ونت الهوية الجماعية «بأنها عبارة عن خليط مميز من هويات الدور وهويات النوع، هوية ذات قوة سببية تحفز الفاعلين على ان يعرفوا رفاهية الآخر وخيره، بوصفها جزءا من رفاهية الذات وخيرها، تحفزهم على أن يكونوا مؤثرين مع هذا قد لا يبقى الفاعل الايثار عقلاانيا، ولكن الأساس الذي يحسب عليه المؤثرون مصالحهم هو الجماعة أو الفريق وليس الذات»². فهنا يرى ألكسندر ونت ان الهوية الجماعية تتكون من خليطين أساسيين وهما هوية الدور وهوية النوع، مما جعل هاذين الفاعلين يعرفوا رغد عيش الآخرين، باعتبار أنها تمثل جزء من رفاهية الذات.

يرى ريجارد جنكز « إن الهوية الاجتماعية هي تصورنا حول من نحن ومن الآخرون كذلك تصور الآخرون حول انفسهم و حول الآخرون »³. ويتضح لنا من خلال هذا التعريف ان ما نعتقده عن أنفسنا مرتبط بالكشف عما يعتقد الآخرون عنا، إذن فالهوية الاجتماعية عند جنكز هي ارتباط ثنائية الأنا والآخر.

يستعمل مفهوم الهوية في « السيكولوجية منذ عقود وهو مفهوم يشير تحديدا الى الوعي الذي يميز الافراد بعضهم عن بعض وأيضا الخصائص التي تتميز بها جماعة ما، وتجعلها كيان متميزا عن باقي الجماعات

¹ دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ص 149.

² محمد عمر احمد ابو عزة، واقع اشكالية الهوية العربية: بين الاطروحات القومية والإسلامية "دراسة من منظور فكري"، قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية، اشراف: الدكتور غازي الربابعة، كلية الآداب والعلوم، قسم العلوم السياسية، جامعة الشرق الاوسط، 2011 ص 32.

³ هارلمسو هولبورن، سوسولوجيا الثقافة والهوية، ت: حاتم حميد محسن، ط1 دار كيوان، دمشق، 2010 ص 93.

حين اهتم السوسولوجيين بدراسة الهويات الجماعية على اعتبارها دينامية مركبة ذات ابعاد متعددة»¹. من خلال هذا القول نلاحظ ان مفهوم الهوية في علم الاجتماع استخدم سابقا وهو برمز الى وعي الافراد والصفات التي تتصف بها جماعة عن غيرها.

كما ان "بونيه" ترى بان «الهوية الاجتماعية كمفهوم، معبر عن ظاهرة، تعطي امكانية الحصول على "وساطة" بين الفرد و الاجتماع و هو ما يسمح بالتالي، في نظرها، بتجاوز الثنائيات التقليدية بين الذات و الموضوع، الخاص والعموم، الفرد و الجماعي، الاجتماعي والطبيعي»². من خلال هذا القول ترى بونيه ان الهوية الاجتماعية هي ظاهرة تبرز مدى التوفيق بين الفرد والمجتمع وهو ما يجعل في نظرها القيام بتجاوز الثنائيات التقليدية وذلك بين الذات والموضوع.

وقد أشار هارلمبسو هولبورن الى الهوية بأنها «شيء قابل لنقاش وتأني اثر التفاعل الانساني، و هي تستلزم عمل مقارنات بين الناس كي يتأسس أوجه التشابه والاختلاف بينهم، فأولئك يعتقدون بوجود تشابه بينهم وبين الآخرين يشتركون في هوية تتميز عن هوية الناس الذين يعتقدون بأنهم مختلفون»³. اي ان تحديد مميزات الشخصية من خلال مقارنة حالته بالخصائص الاجتماعية العامة المعروفة في ذلك المجتمع، وهذه المميزات هي التي تميز الامم عن بعضها البعض والتي تعبر عن شخصيتها وحضرتها ووجودها.

¹ عمر حمدوي، الهوية الجماعية لأفراد الاسرة وعلاقتها بالتحويلات الاجتماعية الحديثة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد التاسع عشر، جوان 2015، ص 97.

² مراني حسان، الهوية المهنية الاجتماعية لفئة اطارات المؤسسات الاقتصادية العمومية، شهادة دكتوراه، الشعبة علم اجتماع العمل، جامعة باجي مختار-عنابة 2006_2007، ص 25.

³ هارلمبسو هولبورن، سوسولوجيا الثقافة، ص 92.

ونجد أيضا « إن الهوية الاجتماعية تعبر عن السورة التي تحملها الجماع عن الفرد وعن السلوكات التي تنتظرها منه، كما تعبر عن الجانب الموضوعي لهوية الفرد والذي يسمح بتعريفه من طرف الغير، فهي بذلك تحدد موقعه في النظام السوسيو اقتصادي (من خلال الفئة السوسيو مهنية التي ينتمي اليها) والنظامين الثقافي والسياسي /توجهاته الادولوجية ومعتقداته الدينية ..) وكذلك في النظام البيواجتماعي الذي ينتمي اليه الجنس، السن، الحالة المدنية»¹.

كما أن جنكز يرى أيضا إن «الهوية الاجتماعية هي جزء مكمل للحياة الاجتماعية وهي تتشكل فقط عبر التمييز بين هويات مختلف الجماعات والتي يمكن ربطها بأناس آخرين، والاطلاع على مختلف الهويات يعطي إشارة عن نوع الفرد الذي تتعامل معه ومن كيفية الارتباط به»². فالهوية اذن عند جنكز هي الجزء الأساسي للحياة الاجتماعية والمكمل لها، إذ انها تشكلت عبر تمييزها بين هويات أخرى مرتبطة بأناس آخرين، بحيث ان بعض الهويات تعطي للفرد نوع من التعامل معه وذلك من اجل معرفة الارتباط بها.

وقد اكتسبت الهوية من منظور اجتماعي معنى الأنا الجمعي او الجماعة، ليستمد الفرد الانساني احساسه للهوية والانتماء الى مجتمع مشترك فيه مع مجموعة من الافراد في العديد من المعطيات والاهداف، لذلك فهي " مجموعة من التصنيفات الانتمائية التي يرى بواسطتها الانسان نفسه ومحيطه"³. أي ان هذه التصنيفات التي بين

¹ كاري نادية امينة، العامل الجزائري بين الهوية المهنية وثقافة المجتمع، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، اشراف: د. مزوار بالخضر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان- الجزائر، 2011-2012 ص 51

² طبيعة الهوية الاجتماعية في ضوء النظريات السوسولوجية، <https://www.m.anaba.org> تاريخ المشاهدة 23 أوت 2021.

³ محمد الكوني، سؤال الهوية في شمال افريقيا، تعدد والانصهار في واقع الانسان واللغة والتاريخ والثقافة، المغرب، د. ط، 2014، ص 13.

الفصل الأول:----- أبعاد الهوية

انتماء الفرد تتمثل في اللغة والدين والثقافة، العادات والتقاليد، الجنس، الأدب، التاريخ وجميع الانتماءات الاقتصادية، الاجتماعية والفكرية.

وقد عرف محمود حسين الهوية بقوله: « من الاستقراء للأدبيات و الدراسات الاكاديمية المتخصصة عن الهوية تشير الى أن هوية امة هي هوية تاريخية و التاريخ هو الذي يشكلها و هذا يعني ان لا هوية خارج المجتمع و التاريخ ، فالأمة وحدها تملك الهوية سواء كانت جماعة كبيرة او صغيرة ، شرط تماثل افرادها، وانصهارهم في الوجود المجتمعي الجمعي»¹. من خلال هذا التعريف نجد ان شرط وجود جماعة سواء كانت كبيرة او صغيرة يتماثل افرادها ومنصهرين في الوجود المجتمعي الجماعي يتحقق في جماعة الامة، بالإضافة الى عنصر التاريخ فهذه الأمة على هذه الارض لفترات تضرب بجذورها في عمق التاريخ .

كما ان "بونيه" ترى بأن الهوية الاجتماعية كمفهوم «معبر عن ظاهرة، تعطي امكانية الحصول على" وساطة" بين الفرد والاجتماع وهو ما يسمح بالتالي في نظرها، بتجاوز الثنائيات التقليدية بين الذات والموضوع، الخاص والعموم، الفرد و الجماعي، الاجتماعي والطبيعي»².

نجد مارك الألماني ورييكا من الشخصيات الأجنبية التي انخرطت مع المجتمع الجزائري، إذ نجد مثلا مارك الذي اكتسب عادات هذا المجتمع الذي أعجب به وأعجب بمدى تعلق الجزائريين بالأرض والانتماء.

¹ مولاي أحمد بن نكاع، ملامح الهوية في السينما الجزائرية، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، قسم الفنون الدرامية، كلية الادب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2012-2013، ص 73.

² مراني حسان، الهوية المهنية الاجتماعية لفئة اطارات المؤسسات الاقتصادية العمومية، شهادة الدكتوراه، شعبة علم الاجتماع العمل، جامعة باجي مختار، عنابة، 2006-2007، ص 25.

مارك الذي كان يتحدث لغة غربية لكنه سرعان ما تعلم اللغة العربية وهي لغة المجتمع الجزائري وأصبح يتواصل بها، اكتسب عادات من تبغ الشمة وسجائر السوفي والعبارة التي تدل على ذلك تجسدت في قول السارد «أصبح مالك يتعاطى تبغ الشمة وسجائر السوفي، ويحمل مسبحة، ويشرب القهوة المخلطة وعود شيخ»¹، ويذكر أن مارك بعد قدومه إلى بلدة العين لقي ترحيبا واستقبالا وقبولا من طرف أهالي البلدة، فهي ميزة وخاصة يمتاز بها الشعب الجزائري ونجدها في عبارة «أقيم له احتفال ترحيبي، كان سعيدا بكل تلك الابتسامات التي تلفه، وحظي بأكبر عناقا في حياته، وغم أن لغته غربية إلا أنه تواصل بشكل مقبول مع محيطه الجديد»²، وقد اتخذ مارك اسم من الأسماء الموجودة في المجتمع الجزائري وهو مالك وتزوج بخديجة واسترى قطعة أرض.

كما نجد شخصيات أخرى مثل محسن وهو الذي صار من كبار رجال بلدة العين بعد وفاة والده الكافي وصار من أشرافها وحضي بمكانة مرموقة فالكل يحترمه تزوج من أم النون وأنجبا منها أولاد، محسن الذي يشرف على شركة وبعد أن صادف جوهر أحبها وأراد أن يتزوجها ليجسد عقلية تعدد الزوجات وكان ألم أم النون تسديد وتجسد معاناة المرأة في بلدة العين «شاهدت محسن والجوهر من فوق ومن تحت ومن الجهات الأربع، توجعت كثيرا»³.

¹ الرواية، ص 17.

² الرواية، ص 16.

³ الرواية، ص 60.

الفصل الثاني:

الشخصية الروائية وملامح الهوية اليهودية

تمهيد :

لا يمكن تصور رواية بلا أعمال، لا يمكن تصور أعمال بلا شخصيات حيث قال إيف روتير " كل قصة هي قصة شخصيات).¹ وفي نفس السياق تساءل هنري جيمس «ما الشخصية إن لم تكن محور الأعمال، وما العمل إن لم يكن تصوير للشخصيات، وما اللوحة إن لم تكن وصف طباع الشخصية»² لهذا نجد بعض النقاد يعرفون الرواية بقولهم: "الرواية شخصية".

المبحث الأول: الشخصية الروائية:

1- مفهوم الشخصية الروائية

لاق مصطلح الشخصية تضاربا في استخداماته، إذ أن بعض النقاد المعاصرين و قعوا في خلط بين "الشخصية و الشخص" كما تعرف الشخصية بأنها، «كانت موهوب بصفات بشرية و ملتزم بأحداث بشرية».³ كما تعدّ الشخصية عنصرا مهما من عناصر بناء الرواية لأنها تصور الواقع من خلال حركتها مع غيرها، فهي كانت حركي ينهض في العمل السردى بوظيفة الشخص دون أن يكون الشخص نفسه، كما تعدّ الشخصية عنصرا أساسى الذي يضطلع بمهمة الأفعال السردية و تدفقها نحو نهايتها المحددة و هي الموضوع المركزى و المهم مبدئيا للفن، و قد يمثل مفهوم الشخصية عنصرا محوريا في كلّ سرد، بحيث لا يمكن تصور شبكة سردية بدونها، و من ثمة كان التشخيص محور التجربة الروائية، في النظريات السيكولوجية تتخذ الشخصية جوهرها سيكولوجيا و تصبح كائن إنساني، و في المنظور الاجتماعى تتحول إلى نمط اجتماعى.

¹ نقلا عن: جريدة حماش: بناء الشخصية (مقاربة في السرديات)، منشورات الأوراس، الجزائر، 2007، ص 56.

² نقلا عن: نبيلة زويتش: تحليل الخطاب السردى: دار الريحانة للكتاب، الجزائر، 2007، ص 133.

³ المصطلح السردى (معجم المصطلحات)، جيرالد بريس، ص 42.

الفصل الثاني: ----- الشخصية الروائية وملامح الهوية اليهودية

يعرف الباحث المغربي حميد حميداني «الشخصية بأنها الشخصية الفاعلة العاملة بمختلف أبعادها الاجتماعية و النفسية و الثقافية، و التي يمكن التعرف عليها من خلال ما يخبر به الراوي، أو ما تخبر به الشخصيات ذاتها، أو ما يستنتجه القارئ من أخبار، عن طريق سلوكيات الشخصيات»¹. وبذلك تكون الشخصية الحكائية الواحدة متعددة الوجوه. إذ تعتبر الرواية أكثر الأجناس الأدبية ارتباطا بالشخصية، لا يعار بها في ذلك سوى المسرحية التي سبقتها في الظهور، ولكن المرونة الكبيرة للرواية بوصفها جنس أدبي، والحرية التي يمتلكها الروائي في تشكيل عوالمه، ورسم شخصياته جعلتا الشخصية الأدبية أكثر اقترانا بالرواية منها بالمسرحية.

لقد تعددت المفاهيم فيما يخص تحديد مفهوم للشخصية، فهناك من يرى أن الشخصية كائن بشري يعيش في مكان وزمان معين، وهناك من يرى أن الشخصية هيكل أجوف ووعاء مفرغ يكتسب مدلوله من البناء القصصي الذي يكسبها هويتها، وهناك من يرى أن الشخصية متكونة من عناصر البنية، وهي علامة من العلامات الواردة في النص، إلا وجهان دال ومدلول.

إن جوهر العمل الروائي يقوم على خلق الشخصيات المتخيلة، ولأن الشخصية في الرواية لا يمكن فصلها عن العالم الخيالي الذي ينتمي إليه البشر والأشياء. إن الشخصية الروائية بالنسبة وبالقياس إلى الرواية الحديثة ما هي سوى كائن من الورق على حدّ تعبير رولان بارت، ذلك لأنها شخصية تمتزج في وصفها بالخيال الفني للروائي، وبمخزونه الثقافي هذا الأخير الذي يسمح له بأن يضيف أو يحذف أو يبالغ في تصويرها، الشخصية الروائية ليست وجودا واقعا وإنما هي مفهوم تخيلي.

¹ حميد حميداني، نبيلة النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2000، ص 51.

الفصل الثاني: ----- الشخصية الروائية وملامح الهوية اليهودية

في حين يرى 'فيليب هامون أن الشخصية الروائية هي تركيب يقوم به القارئ أكثر مما يقوم به النصّ، فإن رولان بارت يعرف الشخصية بأنها نتاج عمل تألفي، فهي ليست كائناً جاهزاً، ولا ذاتاً نفسية، بل هي حسب أحدهما دال والأخر مدلول. ولقد لجأ العديد من الباحثين إلى طريقة خاصة بغرض تحديد هوية الشخصية الحكائية بالاعتماد على محور القارئ وهي:

- ما يخبر به الراوي

- ما تخبره به الشخصيات ذاتها

- ما يستنتجه القارئ من أخبار عن طريق سلوك الحكائية الواحدة متعددة الوجوه وذلك بحسب تعدد القراء واختلاف تحليلاتهم.¹ تعتبر دراسة الشخصية الروائية من أهم الوسائط الرامية إلى إضاءة عوالم الرواية ويكون ذلك من خلال مستويين:

- الأول: في جمالي، إذ يدخل رسم الشخصية في صلب ما يعطي الرواية قيمتها الفكرية والجمالية.

- الثاني: «فكري معرفي، باعتبار الشخصية ناقدة للإطالة على البنى المتجاورة في القطاع الإنساني، الاجتماعي، التاريخي مما تشمله الإطالة».² وقد نجد عدّة أنواع للشخصيات:

أ- الشخصيات الثابتة، أو ذات المستوى الواحد: وتكون عادة أحادية الجانب، إذ تبنى في الغالب على صفة أو عاطفة واحدة، فلا تتغير وتبقى سائدة بها من مبدأ الرواية حتى منتهاها، ولا تؤثر فيها الأحداث ولا البيئة ولا غيرها من الشخصيات، وبذلك تفقد عنصر المفاجأة.

¹ ينظر: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، أمنة يوسف، ص 25 و26.

² ينظر: صلاح صالح: (السرد وسرد الآخر، عبد اللّغة السردية) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب)، بيروت ط1، 2003، ص 102-103.

الفصل الثاني: ----- الشخصية الروائية وملامح الهوية اليهودية

ب- الشخصيات النامية: وتبنى على سجايا متعددة وتتطور بتطور حوادث وأحداث الرواية واحتكاكها واختلاطها بغيرها وتنمو رويدا يصارعها كما سبق وذكرنا مع الأحداث كذلك المجتمع، فتتكشف للقارئ كلما تقدم بالقصة أو الرواية، وهناك تصنيف آخر للشخصية الروائية من زاوية أخرى:

- الشخصية الرئيسية

- الشخصية الثانوية

تعدد معايير التمييز بين الشخصيات الرئيسية والثانوية، بحكم اختلاف الأشكال الروائية، وتغير معايير تقييم الفرد سواء عبر التاريخ، أو اختلافهما من ثقافة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر، كذلك «يسمى الناقد الانجليزي "فورشر" الشخصيات المعقدة بالشخصيات المدورة، وهو أول من اصطنع هذا المصطلح».¹ وذلك أنّ هذه الشخصيات تجسّد كل أنواع التنوع والتعقيد في الطبيعة الإنسانية، ويسمى البعض الشخصيات النامية.

ونظرا للاهتمام الداخلي، وما هو شخصي وفردى، بما يلقي الأضواء على الحياة الداخلية للشخصيات الروائية، وهذا أسلوب اتبعه الأستاذ "اسماعيل يبرير" من خلال الحوار الذي كان يجري بين فضيلة ومارك، ومرة كانت بصدد الحديث عن أختها والتي تدعى مارية «تقف أمامي امرأة في الثالثة والأربعين عزبة لم تتزوج ولم تحب يوما، لا تضع من الألوان إلاّ أجهتها، قوامها جميل نسيبا، لكنّها تحمل روح رجل، صدقني إن خلا ما حصل لتصبح هذه المرأة أنثى»².

¹ ينظر: عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، دار الآداب، ص 87.

² الرواية، ص 13.

الفصل الثاني: ----- الشخصية الروائية وملامح الهوية اليهودية

كما عمد إلى تقديم جوهر و أصلها بقولها: « أنا نشئت عند عائلة محمد بن يمينة، رجل في طهر الأنبياء وكرم الملائكة، كان يعرف من أين جئت...»¹ و كانت يسمون تحكي و تسرد لمحسن عن أصولها و انتماءها وحياتها قائلة: « حين ولدت و كانت فتاة عربية من أم فرنسية...»² و في خصام حديث ليلى مع محسن، و حديث الهاشمي مع فضيلة عن ليلى تارة و عن الوهي تارة أخرى. و من الطرق الحديثة التي غالبا ما يلجأ إليها الروائيون في تقديم شخصياتهم حديث الشخصية عن شخصية أخرى، حيث يكلف الراوي شخصية لتقوم بتقديم المعلومات، كان الهاشمي يحكي لفضيلة عن جدته و أصولها اليهودية حيث يقول: « أبي محسن اعتقد ليلى سيدة النساء، ثم اكتشف أنها يهودية هاجر كل أهلها، و لعلهم الآن في إسرائيل يستوطنون بيتا عربيا...»³

لا يخفى على الرواية دور الشخصية في كشف الهوية وكذلك دور المكان في تكوين حاضنة تنمو عبرها الشخصية، و أثر البيئة في بناء الشخصية يتجلى في الرواية من خلال استخدام أسماء محلية مثل: خديجة، ليلى، زوينة، فضيلة، سي عيسى العرباوي وغيرها، ولم تورد هذه الأسماء في الرواية عشوائيا وعفويا، بل جاءت عن قصد لتدل على علاقة الرواية ببيئتها، فالاسم أو المدلول اللفظي الدال على الشخص يعدّ من أهم الوسائل التي يتوسل بها الكاتب إلى القارئ لإيهامه بمدى النموذج الشخصي في الرواية للواقع.

¹ الرواية، ص 63.

² الرواية، ص 64.

³ الرواية، ص 88.

المبحث الثاني: ملامح الهوية اليهودية

إن الهوية من حيث كونها أمرا موضوعيا وذاتيا معا، «هي وعي الإنسان واحساسه بانتمائه إلى مجتمع أو أمة أو جماعة أو طبقة في اطار الانتماء الإنساني العام، إنها معرفة بما، وأين نحن، ومن أين أتينا، وإلى أين نمضي، وبما نريده لأنفسنا والآخرين، وبموقعنا في خريطة العلاقات والتناقضات و الصراعات القائمة، كما عرفت الهوية أيضا بعدها شعورا لأمة أو لشعب ما، يرتبط ببعض ارتباطا مصيريا ووجوبا»¹

اندجت بعض الشخصيات اليهودية في حكايات إنسانية من الرواية ونجد ليلي زوجة الكافي في حين أن اسمها الحقيقي هو ريبكا بنت كوهين اليهودي، وموريس الذي جاء بالطائر الحسون من أوروبا، كانت ريبكا زوجة محبة للكافي، فقد هربت من منزلها وتنكرت لأصولها اليهودية من أجل الحب، كانت ريبكا التي أصبحت تلقب ب "ليلي" تخفي هذا الأمر عن أولادها حتى يكشف محسن الحقيقة ويثور غضبها، لتجنب ليلي في مشهد حزين من حوار مع ابنها: «أنا يهودية، أين المشكل؟ هل آذيتك يوما؟ هل أذيت أهلك؟ هل طلبت منكم أن تصيروا يهود؟»².

كما نجد شخصية أخرى و هو ابن أمجد الفلسطيني ليجد نفسه أنه من أصول فلسطينية و يهودية، «عاش الابن دون أن يتذكر يوما أنه فلسطيني، بل إنه رفض الاتصال بالطلبة الفلسطينيين الذي التفاهم في الجامعة،

¹ محمد أحمد أبو عنزه، واقع إشكالية الهوية العربية، بين الأطروحات القومية والإسلامية، دراسة من منظور فكري، رسالة الماجستير في العلوم السياسية، إشراف الدكتور غازي الربابعة، كلية الآداب والعلوم، قسم السياسة، جامعة الشرق الأوسط، 2011، ص 37.
² الرواية، ص 76.

نفر منهم كأنه يتنكر لأصوله، و كان أكثر شيء بتجنبه هو الخوض في الأصول والأنساب، فقد كان لديه جرح غائر في هذا الشأن، لقد كان فلسطينيا حفيد يهودية يحمل دما جزائريا»¹.

كما نجد شخصية موريس الذي عاد سنة 1921 من فرنسا يحمل طائر الحسون الذي باعه في الأخير و نجد عبارة بارزة قالها "بن معمر"، وكانت بالعامية: «علاه ياموريس اليهود عادوا يعبدوا الطيور؟»²

برزت كذلك الهوية اليهودية بعد إعلان عن قيام دولة إسرائيل هذا السبب الذي جعل الكافي يتعد عن ليلى التي قد كان أحبها وفضل الزواج من سعدية، هذا الأمر الذي أسر قلب ليلى وكيف لا، وهما اتفقا على البقاء مع بعض «اخترت الكافي وطنا، ثم طعني وأدار وجهه فلم ينتبه لألمي.»³

لقد مثلت الرواية الذات اليهودية بشكل يسعى إلى تكريس ثقافة الحوار.

1- المرأة اليهودية والامتزاج الثقافي:

أ- قضية المرأة اليهودية: اندمج اليهود في حكايات إنسانية تدور حول أحداث متناولة بذلك قضايا إنسانية واجتماعية تقفز من وعي المؤلف لتشكل حجم الزاوية أو قضايا المرأة، أو حتى ذكورية المجتمع، وهي في العموم قضايا يمكن أن تمضي قدما من دون توظيف العنصر اليهودي.

تواجهت المرأة اليهودية في مجتمعات غير يهودية و الرواية أخذت عينه واحدة من تواجد المرأة اليهودية في المجتمع الجزائري، أدرج الكاتب إسماعيل بربير فتاة يهودية جاءت رفقة عابئتها إلى الجزائر، فحاول الكاتب ان يجعل من الرواية رحلة مضمينة للبحث عن الخلاص الروحي، رغم الألم العظيم، فاختر الكاتب ريببكا بنت كوهين

¹ الرواية، ص 135.

² الرواية، ص 115.

³ الرواية، ص 77.

الفصل الثاني: ----- الشخصية الروائية وملامح الهوية اليهودية

اليهودي ليشكل جزءا من بيئته التي قد كتبها في روايته هاته، هذه الفتاة التي دخلت المجتمع الجزائري وغاصت نوعا ما في فكره وعقائده، التقت بالكافي وجمع بينهما الحب فهربت من منزلها فتنكرت من أصولها اليهودية واتخذت اسما مستعارا لها وهو زوينة، كل هذا و فقط لأنها أحبت الكافي بشغف وصارت له زوجة والأم لأولاده، لقد برزت الرواية قلبا إنساني روعي، وانفجرت خليطا من المشاعر المتضاربة حول الذات والبحث عن الخلاص وعن قضايا المجتمع والمرأة، لقد تحدثت الرواية وصورت لنا الوجود اليهودي في الجزائر، عن الكافي الذي كان يحمل ميولا سياسيا، وتصورا سلبيا عن اليهود، وعن دورهم في الصراع مع العرب، تصور استعان التاريخ ثم من الصراع العربي مع الحركة الصهيونية وهي القضية القومية التي لا يختلف عنها أي عربي أو أي جزائري، لقد كانت المرأة اليهودية تحت تأثير الظروف السياسية والاجتماعية، ولعل ما يوضح هذا زواج الكافي من امرأة أخرى بعد الإعلان عن قيام دولة إسرائيل.

ب- الامتزاج الثقافي: عرفت بلدان العالم هجرات كثيرة من طرف اليهود الذين اتحدوا من هاته البلدان مستقرا لهم، وكانت ضمنهم المرأة اليهودية التي أنجبت أجيال.

اختلفت الرحلات سواء نحو مناطق أوروبا فرنسا وألمانيا أو إلى شمال إفريقيا الجزائر والمغرب... فاختلفت الثقافات والأعراق لتشكل مزيجا من ثقافيا واجتماعيا برغم من السياسة التي بقيت محل الصراع، وكان من الجزائر نصيب من هذه الرحلات إذ أنّ الوجود اليهودي في شمال إفريقيا يعود إلى القرن الأول الميلادي على الأقل، إذ استقرت المرأة اليهودية في شمال إفريقيا عامة وفي الجزائر خاصة وتزوجت من جنسيات أخرى غير اليهودية فأنجبت أجيالا يحملون هوية البلدان التي استقروا فيها وثقافتهم من عادات وتقاليد ولغة ودين...

والرواية نموذج من زواج جزائري وهو الكافي بيهودية وهي ريبكا بنت كوهين وتغلب الحب على العرق والأصل والنسب، في حين أن ريبكا اختارت اسم جزائري وهو زوينة وتعرفت على الثقافة الجزائرية فأصبحت

الفصل الثاني: ----- الشخصية الروائية وملامح الهوية اليهودية

تسرد الحكايات والقصص لتصبح سيدة البلدة «الحب هو الذي جمعنا، ولولا الحب لما كنت معه»¹ كذلك نفس الشيء بالنسبة لإسماعيل الذي تزوج بجزائرية وهو فلسطيني، ليجد أمجد نفسه من أصل فلسطيني ويهودي ويحمل دماء جزائرية.

¹ الرواية، ص 76.

الفصل الثالث:

الفضاء المكاني والهوية المحليّة

المبحث الأول: الفضاء المكاني

1-الفضاء المكاني:

لقد أخذ مفهوم الفضاء وتشكيلاته أهمية كبرى في التنظير للعمل الروائي في المغرب العربي وغيرها من الأقطار، نظرا لما يأخذه الفضاء المكاني من أهمية في تشكيل وقراءة العمل الروائي، لأنّ المكان من أهم العناصر التي تمنح النصّ سرديته، ولأنّ الرواية الجزائرية المعاصرة تأسست وفق فضاء مكاني.

1-1 الفضاء:

أ-لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: «الفضاء المكان الواسع من الأرض، و الفعل فضا يفضوا فضوا، و فاض، و الفضاء الساحة ما اتسع من الأرض»¹. و يقصد بذلك بأن الفضاء ميزة أخرى بأنه يتسم بالخلود و الفراغ و ذلك من خلال قوله: «الفضاء الخال الفارغ الواسع من الأرض»² و هذا ما يؤكد كذلك في معجم العين فضا (فضو): «المكان الواسع، و النعل فضا يفضو فهو فاض، أي واسع»³.

¹ ابن منظور، لسان العرب: ياسين سليمان أبو شادي، دار التوفيق للتراث، القاهرة، مصر، 2009، ج: 13، ص 313.

² نفس المرجع.

³ الخليل ابن أحمد الفراهيدي، العين، مرتبا على حروف المعجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003، ج: 3، ص

ب-اصطلاحا:

يرى حميد حميداني في مفهومه للفضاء حيث يقول: «الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان، والمكان بهذا المعنى هو مكون للفضاء ومادامت الأمكنة في الروايات غالبا ما تكون متعددة، ومتفاوتة، فإنّ الفضاء الرواة هو الذي يلفها جميعا، إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الاحداث الروائية»¹.

1-2 المكان:

أ-لغة: وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في قوله تعالى: « واذكر الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا»² بمعنى أوضع، كما جاء في معجم الكليات المكان هو الحاو للشيء الستقر كما يعرفه الفيروز آبادي بأنه: «الموضع أي أمكنة وأماكن وفي المعجم الوجيز: المكان»³.

ب-اصطلاحا: لطالما أخذ مفهوم الفضاء المكاني أهمية كبرى في التنظير للعمل الروائي في المغرب العربي وغيرها نت الأقطار، نظرا لما يأخذه الفضاء المكاني من أهمية في تشكيل وقراءة العمل الروائي، لأنّ المكان من أهم العناصر التي يمنح النص سرديته، ولأنّ الرواية الجزائرية المعاصرة تأسست وفق فضاء مكاني، إذ يمنحها خصوصية وقدرة على الوجود والتميز، كما أنّ الفضاء يتسم بالتشابك والتعقيد والتميز.

للمكان أهمية كبيرة في الرواية ولا يمكن أن نتصور أي خطاب سردي دون فضاء مكاني وقد يكون المكان غالبا في الرواية خيالي يختلف عن المكان في الواقع، وإنّ الحدث في حاجة إلى المكان مثلما يحتاج إلى فاعل هذا الأمر الذي يؤكد كريفيل، « والمكان هو الذي يضفي على التخيل مظهر الحقيقة»¹.

¹ حميد حميداني، بنيلة النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2000، ص.63

² سورة مريم، الآية 16.

³ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، بيروت، لبنان، ط8، 2005، 1235.

كما يضيف عمر عاشور حيث يقول: إنّ المقصود بالمكان في الرواية هو «الفضاء التخيلي الذي يصنعه الروائي من الكلمات، ويضعه كإطار تدري في الأحداث»². وعلى اعتبار المكان ليس عنصراً زائداً في الرواية فهو يتخذ أشكالاً ويتضمن معاني عديدة، بل لأنّه قد كون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله.

إن الخطاب الروائي يتأسس على عدة بنيات، تكون لنا عملاً متجانساً ومتناسكاً، ومن بين هذه البنيات التي يحتاجها العمل السردية، المكان الذي يعتبر وحدة أساسية في تشكيل الحكيم، وهو ما صرح به الناقد حميد حميداني في قوله: " المكان هو الذي يؤسس الحكيم"³ في الرواية لكن ليس ه المكان الطبيعي.

«كما تتحدد قيمة الفضاء في السردية الروائية من حيث هو معطى جغرافي ومن حيث هو معطى إنساني وذلك في علاقة بالإنسان المتفاعل معه ومع أشيائه ثانياً»⁴.

مثلت الرواية في البداية مكان افتراضي إذ استهل الأستاذ إسماعيل بيرير «في تلك المدن البعيدة...»⁵ وبدأ في وصفها لكنه عبارة عن مكان يقع في إحدى المدن الداخلية في الجزائر وبالتحديد مدينة اسمها العين ونجد باب العين وهي بلدة صغيرة.

¹ جينيت وآخرون، الفضاء الروائي، تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 2008، ص 137.
² عمر العاشور، البنية السردية عند طيب الصالح، البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2010، ص 29.
³ حميد حميداني، بنية النص السردية، ص 65.
⁴ نجوى ارياحي القسنطيني، الوصف في الرواية العربية الحديثة، تونس، كلية العلوم إنسانية، ص 458.
⁵ الرواية، ص 9.

باب العين: تقع هناك أغلب أحداث الرواية، ففيها تقيم شخصياتها بداية من مارك الحفيد الذي هو بصدد كتابة رواية، وشخصية الوهي وهو من السكان الدخلاء لهذه البلدة فاتخذ كوخا يقيم فيه «ثم يلف عائدا إلى قلب باب العين يفترش المكان»¹.

وريبكا التي اتخذت باب العين مستقرا لها والجزائر وطنا لها بعد هروبها من منزلها، الحاج الكافي الذي كان شخصية معروفة في باب العين بالإضافة إلى مارك الذي انتقل من بلاد أجنبية وتزوج بنت البلدة خديجة وشخصيات أخرى ساهمت في الأحداث التي وقعت في الرواية، بالإضافة إلى أماكن أخرى تناولتها الرواية بصورة مختصرة وقصيرة ومن جهة أخرى بطريقة غير مباشرة لما تعرضت إلى جنسيات أخرى مثل ريبكا اليهودية وموريس اليهودي وهم من أول يهودية، ومن مارك الذي انتقل من ألمانيا إلى باب العين بعد جريمة قتل زوجته،

بالإضافة إلى مكان آخر هي بين الحدود الليبية المصرية أين توفي إسماعيل والد أمجد وهو في طريقه إلى فلسطين، لقد كان باب العين مسرحا لأحداث مدهشة وقعت واختلفت بين كوخ الذي يلازمه الوله وبين ساحة المسجد الذي كان يرتاده والمدرسة وبين منزل الكافي التي تدور فيه الأحداث محسن، ليلي، أم النون... والمشفى أين يلتقي الهاشمي بفضيلة، والسماة التي كانت مسرحا للطيور وفضاء للحرية وبعيدا عن جشع الإنسان ووحشيته.

¹ الرواية، ص 29.

المبحث الثاني: الهوية المحلية

1- مفهوم الهوية:

يملك كل فرد داخل المجتمع وجود قانوني، تتمثل ف بطاقة عمل اسمه ولقبه وكل ما يتعلق بخصوصيته ألا هي هويته الوطنية، وهي ذات طبيعة تمييزية بينما يملك في الوقت ذاته هوية توحيدية تجعله يشابه مع غيره من أفراد مجتمعه تعمل على التعريف بهم ككل مختلف عن الآخر.

• وبغرض فهم أفضل للهوية كمفهوم سوسيولوجي علينا الرجوع إلى ما جاء في كتابات علماء الاجتماع الفرنسيين الأوائل، وفي محاولة منا لتحديد موقعه في علم الاجتماع الفرنسي اليوم، علينا الرجوع إلى ما كان عليه عبر التاريخ، فقد كانت الهوية تعبر عن معرفة الماضي من أجل فهم أفضل أو تفسير أدق للمستقبل.

• يعرف طاب TaP-P الهوية فيقول: «هي مجموعة من المميزات الجسمية والنفسية، المعنوية، والقضائية والاجتماعية والثقافية التي يستطيع الفرد من خلالها أن يعرف نفسه أو أن يقدم نفسه وأن يتعرف الناس عليه، أو من خلالها يشعر الفرد بأنه موجود كإنسان له جملة من الأدوار والوظائف والتي من خلالها يشعر بأنه مقبول ومعترف به كما هو من طرف الآخرين أو من طرف جماعته أو الثقافة التي ينتمي إليها»¹.

الهوية هو مصطلح يستخدم لوصف مفهوم الشخص وتعبيره عن فرديته وعلاقته م الجماعات (كالهوية الدينية أو الوطنية أو العرقية...) يستخدم المصطلح خصوصا في علم الاجتماع وعلم النفس، وتلقت إليه الأنظار بشكل كبير في علم النفس الاجتماعي.

¹ Tap-P. Introduction et affirmation de l'identité, Identité individuelle et personnalisation, 1979, 12, P 237.

الفصل الثالث:----- الفضاء المكاني والهوية المحليّة

وهي مزيج من الخصائص المختلفة اجتماعية ثقافية أو دينية يتقاسمها الأفراد، وبهذا يمكن التمييز بين مجموعة وأخرى، بين مجتمع وآخر، كما أنّها تعتبر مجموعة من الانتماءات التي ينتمي إليها الفرد وتحدد سلوكه، أو كيفية إدراكه لنفسه.

تزيد معرفة الشخص لهويته من احتراسه وفهمه لذاته، ولا تعد هوية الفرد ثابتة حيث تتغير وتتطور مع الزمن، فقد كانت الهوية في الأصل قضية فلسفية ومنطقية غرسها العالم فرويد في علم النفس، وطوّرها العالم إريكسون الذي بين أنّ الهوية ليست فردية فحسب، بل هي قضية جماعية واجتماعية، تشمل الاختلافات والشعور بالانتماء بين الأشخاص والمجموعات.

فقد برزت في الرواية هوية أحد البلدان العربية ن لم نقل أحد المجتمعات التي تتنفس الهوية والأرض والوطن وهو مجتمع بلدة باب العين، البلدة التي تقع في الجزائر، مجتمع شديد الحرص على عاداته وتقاليده، حريص على أعرافه ومقوماته، فهو الذي قاوم الفرنسيين لاسترجاع سيادته، فتجد شخصية الوهلي الذي كان ينتقل من كوخه على المسجد «اتخذ الوهلي من ساحة المسجد مقاما له»¹.

كذلك نجد مارك الذي أصبح متعبدا بعد زواجه من خديجة «حين تزوج خديجة التزم الصلاة»².

وبعد أن أسلم في مسجد الحي الأول في المدينة بالإضافة إلى المظاهر الاجتماعية التي سادت حينها من استعمار فرنسي والأوضاع التي آلت إليها البلاد والمظاهر الحياة التقليدية التي ميزت المجتمع الجزائري من لغة عربية

¹ الرواية، ص 50.

² الرواية، ص 16.

الفصل الثالث:----- الفضاء المكاني والهوية المحليّة

واللهجة الجزائرية التي كانت حاضرة واستخدمها الكاتب. وجسدها في الصفحة مائة وخمسة عشر بين موريس

وبن معمر «علاه يا موريس اليهود عادوا يعبدوا الطيور؟»¹

وكلمات مفتاحية يستخدمها الجزائريون في حياتهم اليومية مثل البئر، والعصا، وبعض الملابس التقليدية مثل

العمامة وذكرها الكاتب في الصفحة السادسة عشر، «حي نتزوج خديجة التزم بالصلاة وصار يعتمر عمامة في

بعض الأحيان»²، والشمة «وأصبح مالك يتعاطى تبغ الشمة»³.

بالإضافة إلى الشاي وهو مشروب يحتسيه الوهبي مع لخضر والشاوي، أقرب أصدقائه، كما ظهرت ملامح

الهوية في بعض الأكلات الشعبية التي لا يعرف عنها سوى المجتمع الجزائري من "مقروض" و "رفيس"، وقد مثل

الكافي ومحسن دور وشخصية الإنسان الغيور على وطنه وعرقه وأصله، المتشدد لنسبه والغاضب والثائر من أجل

هويته، وهذا ما حدث للكافي برغم من حبه لزوينة والت هي ربيكا واتفقهما على البقاء معا إلا أنه سرعان ما

نفر منها إن لم نقل قد كرهها بعد إعلان عن قيام دولة إسرائيل لقد طغى حقدته وكرهه على حبه الكبير لزوينة

فقرر أن يعاقبها وهذا عن طريق الزواج بفتاة أخرى وهي "المعلمة سعدية".

«الكافي مات منذ خان عهده لي، وجعلني في حلّ من عهدي، كنا متفقين على الوفاء لبعض، وحين همّ

بالزواج من غبري كان يعفني من عهدي»⁴، لقد «اخترت الكافي وطنا، ثم طعني وأدار وجهه فلم ينتبه

لألمي»⁵.

¹ الرواية، ص 115.

² الرواية، ص 16.

³ الرواية، ص 17.

⁴ الرواية، ص 77.

⁵ الرواية، ص 77.

كما كان محسن ابن الكافي شخصية التي تفتخر بأصولها إلى حين اكتشاف أصول والدته اليهودية فيكمل حياته مستاءً متمراً فيقول لوالدته لقد زرعتك دمك اليهودي بدمي وأنه كان واجبا من والده أن يحسن الاختيار، رغم حبه الشديد لوالدته إلى أنه كان شديد الحزن بمعرفته سر زوينة وهويتها.

2- دور السرد في إثبات الذات والهوية:

لقد درج النقد المعاصر في مقارنته لمفهوم الذات على توثق صلته بخطابات سردية تندرج جميعها ضمن ما يسمى بالتخييل الذاتي سواء السيرة الذاتي سواء السيرة الذاتية أو المذكرات أو رواية السيرة أو السيرة الروائية أو السيرة الذهنية وغيرها من المحكيات التي تركز على الهوية.

ف نجد ليلي في رواية "منبوذ العصفير" تلك الذات الهاربة من اقاربها إلى أحضان الكافي تلك الذات الباحثة عن "الحب" لا شيء ولا غير سوى الحب، «لولا الحب لما كنت معه»¹ إنّ التحولات التي عرفتها الرواية في المجتمعات الحديثة التي يوصف واقعها بأنه متناقض ومتعدد، قد أفرزت نمطا جديدا من السرد، لا يقوم على المعرفة الكليّة للسارد وحضور صوته بصورة قطعية، بل ينهض أساسا على تعدد الساردين وتعدد الأصوات ليعبر بذلك عن موقف الإنسان من ذاته ومن الآخر ومن العالم.

إنّ الذات هو تجسيد الأحلام والأم الإنسانية، كذلك الأوهام والأفكار العميقة التي تنوء بها الذوات، فالذات منظومة من الأفكار والقيم والمبادئ والأحاسيس والمشاعر الإنسانية، إنّ الذات في السرد الروائي تتوجه إلى تأمل نفسها ومجادلة أفكارها وهواجسها سعيا إلى الفهم والإدراك.

¹ الرواية، ص، 76.

إنّ التحول الذي حدث في بنية الرواية من مرحلة العناية بالشخصية إلى مرحلة العناية بالأفكار و ما يمنح الذات في السرد الروائي طبيعتها النوعية، فليست الذات كائنا ملموسا و مرآة لشخص حقيقيين و واقعيين و ليست انعكاسا لكاتبها فحسب إنّها فكر ينطوي على رؤية أكثر شمولية و رحابة و هي وعي بالأفكار و القيم و المبادئ و الأحاسيس الإنسانية، لنقل إنّ الذات في السرد الروائي تتوجه غلى تأمل نفسها و مجادلة أفكارها و هواجسها سعيا إلى الفهم و الإدراك، و نجد شخصية الوهلي تمثل الذات العاشقة، الذات التي أحبت ليلى بصدق، رغم كبر السنّ و رغم الأعراف و رغم الاختلاف، «وحده الوهلي لا يعترف بالهويّات، لا يسأل الناس الناس من أين و إلى أين؟ ولا يهتمّ للدمّ الذي يجري في العروق، وحده يعتقد أنّ الإنسان بروحه وقلبه...»¹

هي ذوات تخوض صراعا من أجل الحب وليس لشيء آخر غير الحب، فتجسد الرواية لذات عليلة وهي تخوض صراعا عسيرا، وحربا صامتة تكاد تأسر روحها، فهي تواجه واقعا مجهولا بمفردها، و مناجهة أوضاع اجتماعية وسياسية والحرب العرب مع اليهود.

إنّ الذات في السرد بوصفها مكونا تخيليا وليس انعكاسا أميناً للمؤلف أو تنحيته لصورته الحقيقية وموافقة الإيديولوجية.

- إنّها تحمل صوته الإنساني الخاص وصوت مجتمعه لتعبّر عن قضايا كونية، تمثل الذات فيها عنصرا مشتركا وهدفا نبيلاً، فعلى الرغم من الاختلاف الإيديولوجي، إلا أنّها تشترك في مبادئ والسّمات ترتكز على أزمة مجتمعا. إنّ الذات شديدة الارتباط بموم مجتمعا وتناقضاته وأزماته.

¹ الرواية، ص 77.

الفصل الثالث:----- الفضاء المكاني والهوية المحليّة

يصور الكاتب محسن ذاتا إنسانية جريحة تعاني إحباطا شديدا أو يأسا لا متناهيا، هو التمزق في هويته وعدم قدرته على التكيف مع واقعة.

لقد سعى الكاتب إلى تجسيد أزمة وجودية تغلغت في أعماق المجتمع الجزائري، فمحسن الذي لطالما كان فخورا بنسبه ليصدمه الواقع المرير بمعرفته لهوية والدته، لقد اختلطت المشاعر والذات بين الأمومة والحب وسؤال الذات، إن لم أقل أسئلة وكم هي كثيرة، محسن في حوار مع والدته:

«أنا يهودية، أين المشكل؟ هل آذيتك يوما؟ هل أذيت أهلك؟ طلبت منكم أن تصيروا يهود؟. - لكنك تعكس لا تحتاجين ذلك، لقد زرعت دمك اليهودي»¹.

عبارة تعكس مدى خيبة فقد صور لنا الكاتب: ذاتا تعكس مجتمعه، وتمثل هذه الذاتية في واقع الأمر اختلاط الهوية.

إنّ حيرة الذوات الممزقة ناتجة عن أزمة هوية وإدراك لفقدان يقينها وعدم قدرتها على مسايرة واقعها.

هكذا لتصبح الذات مرآة لحياة قاهرة فرضت على المجتمع، وعمد السارد إلى جعل الذوات تشترك في المأساة، ولقد حاول الكاتب في المأساة، ولقد حاول الكاتب في روايته إلى التغلغل في خفايا الذات الإنسانية والتي أسهم الواقع المتزدي والأوضاع المتهور في تعميق علتها، وقد اتخذ سؤال الهوية والوجود، قبل الوعي يتمظهر في السرد، مسيرا طويلا عبر التاريخ الفلسفي، إذ ظل البحث في الهوية يرتبط بشعور الذات بالانتماء والرغبة في الوجود والبقاء، من خلال تحميل الذات ثقل هويتها.

¹ الرواية، ص76.

الفصل الثالث:----- الفضاء المكاني والهوية المحليّة

لقد تناول الكاتب عن أزمة موجودة في أعماق المجتمع الجزائري وهي أزمة الهوية وما نتج بعد الثورة الجزائرية ضدّ الاستعمار الفرنسي بالإضافة إلى حرب العرب مع اليهود، فالمجتمع الجزائري المتمسك بأعرافه وقيمه ومبادئه كان أمام واقع آخر وهو الاختلاط مع هويات أخرى.

وعلى سبيل المثال مارك الذي كان يعيش في بلاده ألمانيا ليهاجر إلى الجزائر ويتزوج من خديجة الجزائرية وينجب أطفال عمروا من بعده.

مارك الذي أصبح شخصا ينتمي إلى تلك الأرض وينفر من أصوله الحقيقية. « و في غضون أيام قليلة تلقى ابتسامات أولى من لدن السكان الأصليين، و رغم أنّه شعر بأنه يرى نوعا مختلفا عنه، إلاّ أنّه اكتشف أنّهم بشر و يشبهون البقية وما الاختلاف إلاّ توهم، شاهد يعينه كيف يمازحون بعضهم البعض، و كيف يتبادلون العناق و السلام بحرارة في كلّ صباح، راقه إنتصاقهم بالأرض و انتماؤهم لها، يجلسون بحب و امتنان على التراب، و يشربون قهوتهم كأنّها نبيذ رفيع، يقسمون التمر في الضحى و اللّبن و الخبز الشغير في الغداء، يكتفون بالقليل و لا يعجزون عن الفرح رغم الضنك و الظلم الذي يحيط بهم، كان يشعر بأنّه ينتمي لهؤلاء، و بدأ ينمو داخله حقد على مولده و نشأته»¹

والكافي ابن البلدة الذي تزوج بفتاة يهودية وهي ربيكا بنت كوهين بن موريس التي تنكرت لأصولها اليهودية، لقد تركت ورائها هويتها من أجل الحب، كما أن جوهر هي ابنة عربي وامرأة فرنسية استشهدت انتقاما لحبيبها، لقد صورّ الكاتب مجموعة من التجارب لشخصيات عاشت وقائع وأحداث تعلقت بالهويّة والصراع العربي اليهودي و الأوضاع المزريّة.

¹ الرواية، ص 148.

الفصل الرابع

نقد الذات والدفاع عن هوية الآخر

المبحث الأول: نقد الذات

1- مفهوم الذات:

أ- لغة: لقد جاءت لفظة الذات في المعجم الفلسفي لمراد وهبة «ذات **sujet** و **subject** سيكولوجيا، ما به الشعور والتفكير. فتفق الذات على الواقع وتستقبل الرغبات والمطالب، وتوحد الصور الذهنية»¹ نلاحظ من خلال هذا التعريف أن موضوع الذات لا يخرج عن الجانب النفسي، فالنفس تهتم بالميل والأهواء، والرغبات وأيضا تحس وتفكر فهي التي تحرك الفرد.

فما جاءت أيضا لفظة الذات في قاموس المصطلحات الصوفية لا لأيمن حمدي «الذات من حيث ما هي: هي عين قائمة، وهي متصفة بجميع صفات الألوهية وأسمائها، لكنها في غاية البعد ونهاية الصعوبة في الإدراك لها والعلم بها-وليس لأحد من المحققين بل ولا جميع النبيين والمرسلين ما عدا القدرة العظمى صلى الله عليه وسلم أن يحيط بها علما أو يدرك لها حقيقة تماز بها عن غيرها كتمايز الأشياء بعضها عن بعض وإنما معرفتهم بها وادراكهم لها وقطفهم بالعجز عنها من احتراق ذواتهم من هيبة عظمتها وجلالها»² نفهم من خلال هذا القول أن لفظة الذات مرتبطة بمصطلح الألوهية وأسمائها بالتحديد الذات الإلهية الله عز وجل.

¹ - مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار القباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د-ط، 2007، ص 321.

² - أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط، 2000، ص 62.

الفصل الرابع:----- نقد الذات والدفاع عن هوية الآخر

وردت لفظة الذات في معجم علوم العربية ل محمد أنتونجي «ذات الشيء حقيقة وخاصته، وإذا قلت: «قلت ذات يده فإن "ذات" هنا اسم لما ملكت يمينه و"ذات" ناقصة، تماما "ذوات" مثل نواة، فحذفوا منها الواو، فإذا أنموا وأقالوا: "ذواتان" كقولك نواتان وإذا ثلثوا وهو إلى "ذات" فقالوا: ذوات»¹.

ب- اصطلاحا: لقد اهتم المفكرين العرب بمفهوم الذات إذ نجد ابن سينا «يرى مفهوم الذات على أنه الصورة المعرفية للنفس البشرية" وبمحور من المعنى في أن الذات عند ابن سينا هي ذاتها النفس. ونلاحظ إثر هذا أن الغزالي هو الآخر يتفق مع ابن سينا في كون الذات هي النفس فالغزالي يقول: «إن النفس خمس وجهات... النفس الملهمة، النفس اللوامة، النفس البصيرة، النفس المطمئنة، والنفس الأمارة بالسوء، اعتبر الأربع منها حميدة، بينما الخامسة غير حميدة»².

ويعد «ديكارت أول من ناقش المدرك أو الذات كجوهر مفكر وقد تكلم بعد ذلك المفكرون عن مفهوم الذات بكونه الروح **soul** تارة: واعتباره الذات **self** تارة أخرى»³ يتضح من هذا أن مفهوم الذات يتأرجح بين عدة مسميات تختلف باختلاف الأفراد. «ومن أوائل علماء النفس الاجتماعية الذين ساهموا اسهاما فعالا في دراسة الذات، عالم النفس الاجتماعي كولي **cooley** (1902)، وهو صاحب الرأي المشهور، إن المجتمع مرآة يرى الفرد فيها نفسه ومفهوم مرآة الذات" هو أن الفرد يرى نفسه بالطريقة التي يراها به الآخرون»⁴.

¹ محمد أنتونجي، معجم علوم العربية تخصص، سموليته-إعلام، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2003، ص 222.

² ينظر: قحطان أحمد الظاهر، مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط 1، 2004، ص 7.

³ محمد كاظم الجزاني، مفهوم الذات والنضج الاجتماعي (بين الواقع والمثالية)، دار صفاء للنشر والتوزيع، مؤسسة دار الصادق الثقافية، عمان، ط 1، 2012، ص 22.

⁴ قحطان أحمد الظاهر، مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، ص 17.

الفصل الرابع:----- نقد الذات والدفاع عن هوية الآخر

على ضوء ما سبق أن كوبي يرى أن الذات تتطور عند الفرد من خلال التأثير المتبادل بينه وبين الآخرين وتشكل لديه صور لنفسه جراء رؤية الآخرين له.

ولقد وردت الذات عند أدلر Adler بأنها «تمثل تنظيماً يحدد الفرد للفرد شخصيته ورؤيته، وهذا التنظيم يفسر خيارات الكائن الحي ويعطيها معناها وتوسعى الذات لاكتساب الخيرات التي تكفل للفرد أسلوبه التميز في الحياة، وإذا لم يوجد تلك الخيرات فإنها تعمل على خلقها»¹.

من خلال هذا التعريف نجد أن الذات عند أدلر هي من تحدد للفرد شخصيته وفق تنظيم مسبق ومحكم وبفضل هذا التنظيم يكتسب الفرد خبرة وأسلوباً في الحياة.

أما كاتيل Cattel فقد ذهب إلى القول بأن «الذات هي الأساسية في ثبات السلوك البشري وانتظامه»² معنى هذا أن الذات هي الأساس فعلاً في سلوك الفرد فهي التي تبين قيمته للمجتمع من خلال سلوكه مع الناس. وإذا ما وعدنا للمفكرين العرب نجد أن زهران يعرف الذات بأنها «تكوين معرفي منظم ومتعلم للمدركات الشعورية والتقييمات الخاصة للذات يصوغه الفرد كتعريف نفسي لذاته»³. ومن هذا نخلص إلى أن الذات عند زهران هي ما يكتسبه الفرد من اعتقادات وتصورات حول ذاته وبها يتم الكشف عن هويته.

¹ محمد كاظم الجزائري، مفهوم الذات والنضج الاجتماعي (بين الواقع والمثالية)، ص 24.

² قحطان أحمد الظاهر، مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، ص 25.

³ نفس المرجع، ص 30.

الفصل الرابع:----- نقد الذات والدفاع عن هوية الآخر

ونجد أيضا من الغرب كارل روجرز «فالذات عنده مفهوم مركزي حتى أن نظريته يطلق عليها نظرية الذات الشخصية والذات أو مفهوم الذات المصطلحان متكافئان بالنسبة لروجرز»¹ ومعنى هذا أن الشخص هو المسؤول عن ذاته من خلال سلوكه وشخصيته التي يحملها وبذلك تفسر ذاته بالقوة أو الضعف.

إن مفهوم الذات يتكون نتيجة لتفاعل وتشابك العديد من العوامل الفاصلة أهمها نظرة الفرد الخاصة لذاته ونظرة الآخرين للفرد وتقديمهم له وانطباعاتهم له. ويرى الأستاذ «محمد حمزة» في مقالته عن الديمقراطية تعني الشخصية ومن ثم المؤسسات العربية من أزمة الحساسية المفرطة من النقد.

2- نقد الذات في الرواية:

نجد سيمون الفرنسية وجوهر التي هي فتاة من أب عربي وأم فرنسية، نجد كذلك سليمان القصاب وهي شخصية جزائرية استشهدت في الحرب ضد الاستعمار الفرنسي، ونجد إسماعيل الفلسطيني من فلسطين والذي تزوج من جزائرية، كما يمكننا أن نصف من خلال العلائق التي نشأت بين الشخصيات التي تمثل الذات والآخر وبحيث أصبح لدين نوع ثالث هو نوع هجين ثقافيا وعرقيا، تمثل في شخصية ابن مارك الثاني، ومحسن ابن الكافي وأحمد ابن سماعيل الفلسطيني وأنيسة الجزائرية وشخصيات أخرى وهي حركة سردية لهدف إلى توسيع حدود الهويات المتصارعة تاريخيا وثقافيا وعرقيا، يبدأ فعل اختراق الآخر للذات مع شخصية مارك، حيث جاء في الرواية «أنه صار اسمه مالك هذا قضى اللام العربي على الراء الألمانية»². وبحث العربي الذي يتلصق في الكلام، لم يحك مالك أو مارك شيئا عن حياته القديمة، «وحيث تزوج خديجة التزم الصلاة وصار يعتمر عمامة في بعض الوقت، وخلال سنوات قليلة تحول إلى رجل من القوم، يحمل عصا ويلف يده خلف ظهره متجها صوب

¹ قحطان أحمد الضاهر، مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، ص 27.

² الرواية، ص 16.

الفصل الرابع:----- نقد الذات والدفاع عن هوية الآخر

المسجد...»¹ كان مالك انخرط تماما في هويته الجديدة، ونلاحظ هنا كيف تقمص واندمج مارك وهو الذي يحمل ذات غير تلك الذات الجزائرية، فهو يمثل الآخر اندمج مارك مع المجتمع والثقافة الجزائرية.

حتى أصبح فردا منهم، ومن قرية العين، ويبدأ فعل التغلغل في كيان الذات بزواج مارك من خديجة واشترى أرضا خارج المدينة: ذلك المكان الذي كان جنة مارك وخديجة، وقد نتج عن زواج هذا الثنائي نسل هجين يمثل الآخر والذات في الوقت نفسه، يظهر ذلك في قول السارد عن حفيد مارك الألماني أن «اسمه مالك بن يعقوب بن بشار بن مارك الألماني نسبا والمنتمي إلى عرش أولاد الشرقي، لكن الجميع ينادونه مارك على اسم جده الي قدم قبل قرن وبضع سنوات ليستقر في هذا الفضاء.»²

اكتسب مارك مكانة في وسط المجتمع الجزائري إذ نال محبة من أبناء البلدة والعبارة التي تدل على ذلك «أقيم له احتفالا ترحيبيا، كان سعيدا بكل تلك الابتسامات التي تلفه، وحضي بأكبركم عناق في حياته»³. وفي عبارة أخرى «وفي صورة الزوج المهاب، حتى تناقل الناس هيبته»⁴. نعم لقد اكتسب مارك مكانة من المجتمع الذي تقبله كل التقبل وذلك يعود إلى مارك قد قدم نوع من التنازل الثقافي، إذ يمكننا القول أن مارك الآخر في الحكاية قام بالتخلي عن هويته وعن نزعتة الخيرية، حتى تم الاختفاء به بين شخوص فضاء العين، يقول السارد من منطلق هذه الفكرة: «شيعت جنازة الألماني وأقيم له ضريح معروف في مكان مرتفع، سرعان ما تحول إلى مقبرة.»⁵

¹ الرواية، ص 16.

² الرواية، ص 16.

³ الرواية، ص 16.

⁴ الرواية، ص 17.

⁵ الرواية، ص 20.

الفصل الرابع:----- نقد الذات والدفاع عن هوية الآخر

تجسد الرواية علاقة اتصال الذات الجزائرية بالآخر اليهودي من خلال شخصية الحاج الكافي الجزائري الذي تزوج ريبكا في حوار دار بينه وبين أمه: «يقولون أنه تاجر يهودي»¹

وهذا ما جعل محسن يصاب بالجنون ويفقد هيبته وقيمته بين أفراد سكان قرية العين، لأنه أصبح يلعب بأبن اليهودية وهو الذي لطالما كان يفتخر بذاته ونسبه اكتشف أمر أمه، ليدخل بعد ذلك في أزمة نفسية وجودية، وسخط كبير على والدته زوينة، حيث جعلته يحمل الدم اليهودي في عروقه، ليصبح مثالا عن الشخصية الهجينية التي تعاني اضطرابا في الهوية، وتصدر الإشارة هنا إلى أن ذلك الاتصال بين الذات والآخر لا يأخذ دائما ذلك المنحى السلبي على مستوى الشخصيات والأفراد والذوات، فقط إن توفر شرط التفاوض الثقافي وتقبل الآخر وهذه الحالة في الحقيقة تخضع إلى شفرات ثقافية انتقائية، وتخضع كذلك إلى اختيارات فردية حاسمة ومنشقة عن رأي الجماعة، ودائما ما يكون عنصر التاريخ متحكما في شكل العلاقات المستقبلية،

وتخضع بدورها الذات والآخر إلى بعض الأطر القافية المنسجمة والمتنافرة في بعض الأحيان مثال ذلك حال الذات العربية والآخر اليهودي، فهو صراع تحكمت فيه عوامل دينية وثقافية وعرقية...، كما نجد الذات الجزائرية والآخر الفرنسي وتحدد العلاقات في أشكال ونماذج قد تكون مسالمة وقد تكون معادية.

لقد بدأت الرواية خارج المتقن المكاني بعبارة " هذه الرواية ضد الهويات الضيقة" وهذا ما يوضح الخطة السردية التي سينتهجها الكاتب في عمله، والتي تهدف إلى تفكيك الصراع القائم بين الهويات من خلال مشروعة السردية، الذي يقحم فيه كيان الذات في كيان الآخر. تظهر كذلك الرواية نموذجا علائقيا مسالما بين الذات والأخرى في حوار بين سيمون الفرنسية وابنتها جوهر والتي هي من أب جزائري: «كنت أسألها لم أحببت عرقيا؟

¹ الرواية، ص 76.

الفصل الرابع:----- نقد الذات والدفاع عن هوية الآخر

فتجيبني بكثير من السخرية بأنه حظها البائس، فقد جربت رجلا وهو حفيد مارك الألماني تزوجها لمدة سنتين وفر إلى العين، وجاءت إثره فتنكر لها، لم تصمت وأضافت بكثير من الهدوء أنه «لا يهمها أبدا دين وعرق من أحببت بل جوهره لأجل هذا أسمتني الجوهر، لأكون مثل والدي»¹.

يمكننا القول أن شخصية سيمون تمثل في هذا الموقف السردى ذلك النموذج الثقافي الذي يسمو فوق كل الأنساق الثقافية. وقد تمر الذات بعدة تحولات بمجرد احتكاكها المباشر مع الآخر، ويأخذ هذا التحول أشكال متعددة، لكنها تنتهي بحالة من المحنة الثقافية نصيب كيان الذات وكيان الآخر بدرجات متفاوتة، أو كلاهما يحملان خصائص ثقافية وعرقية دخيلة عن كيانها، فتتصبح هوية كلا منهما غير نقية، كما أن الذات تفقد بذلك خصوصيتها الثقافية، التي تتمثل على مستوى الانتماء والمعتقد، ويظهر ذلك في شخصيات رواية منبوذ العصافير، حيث يمثل السرد هذه الكيانات الثقافية لتهل كل شخصية عقدة سردية، فيصبح الحكى عبارة عن تداعي حر يبحث عن خصوصية ثقافية لكل شخصية من شخصيات الرواية.

وقد تتعرض الذات والآخر إلى حالة التهجين الهوياتي ويظهر ذلك في وجهات متعاكسة ومتبادلة، حيث يمارس مارك الألماني بعض السلوكات والأفعال التي تجعله مواكبا مع العادات والتقاليد الجزائرية، والأعراف المحلية وهذا ما يعتبر هجين لهوية الآخر، وهو كذلك انتهاك ونقد لخصوصية الذات الثقافية، إذ يقول السارد عن مالك: «اخترع عادات وسلوكيات له حتى صدقها وأتقنها، فمثلا أصبح مالك يتعاطى تتبع الشمة، ويدد عبارات أصيلة تزرعه في عرش أولاد الشرقي»².

¹ الرواية، ص 67.

² الرواية، ص 17.

الفصل الرابع:----- نقد الذات والدفاع عن هوية الآخر

وتأثر خديجة بزوجها مارك، وأصبحت تحسب عليه، حتى يناديها أهل العين بخديجة الألمانية، وأولاد الألمانية، يمكننا القول هنا أن الذات أصبحت تنتسب للآخر، وتحولت هويتها لتكون لصيقة بيهوية الألماني، وفقدت خصوصيتها الذاتية إذ الذاتية إذ يقول هنا «صارت خديجة تخرج للناس وتتبع وتشترى، ثم اكتسبت تدريجيا لقباً سيعلق بها وبأبنائها، أصبحت هي خديجة لأمان، وأبناءها وأحفادها أولاد الألمانية.

كما تتصل الذات بالآخر داخل الدائرة الثقافية نفسها لهذه الذات، لأنه يوجد ذات كبرى تشمل عدة انتماءات، تصب فيما يمكن أن نسميه بالذات العربية، حيث تشترك الذات الجزائرية مع الآخر مع الآخر الفلسطيني في صبغة العروبة، يقول الهاشمي بين محسن ابن اليهودية ريبكا والمدعوة زوينة، «أختي حنان متزوجة من أمجد ابن عمي أنيسة، وهو ابن إسماعيل الفلسطيني، رجل اختفي وترك عمي، حسنا لا أحد يجب أن يكون أمجد فلسطينيا، لهذا فهو جزائري من أب فلسطيني»¹. وهذا ما يفضي إلى أن أمجد يعاني من شرح هويتي وتمجيد عرقي، نتج العرق اليهودي مع العرق الجزائري والعرق الفلسطيني.

ومحسن الذي يحمل في عروقه دماء يهودية سببت له حزنا كبيرا وألما عظيما وخيبة أمل كبيرة، سيطرتها معتقداته الثقافية والنزعة القومية العربية التي ورثها عن والده الحاج الكافي والذي كان يملك توجهات وميول سياسية، مما جعله يتموقع ضد العنصر ضد اليهودي بكثير من الازدراء والحقد كان ينظر إلى هاته الذات نظرة حقيرة ذليلة، والمفارقة هنا أن هذه الشخصية حسب ما تظهرها الرواية، أنها أصبحت تنبذ نفسها وتحتقرها، لأنها تحما هذه الدماء التي لا طالما كرهها، مما انتهى مصيرها سرديا على الجنون، يحكي كذلك الهاشمي لفضيلة

¹ الرواية، ص 82.

الفصل الرابع:----- نقد الذات والدفاع عن هوية الآخر

يقول: «أبي محسن اعتقد ليلي سيدة السماء، ثم اكتشف أنها يهودية هاجر كل أهلها، ولعلمهم الآن في إسرائيل يستوطنون بيتنا عربيا، ربما يكون هذا البيت لجد إسماعيل والد أمجد»¹.

أن سليمان وهو ابن أخت الكافي والذي ساعد الكافي على تهريب ريكا اليهودية من بث أهلها وإخفائها، كما ساعد خاله في الزواج منها يقر بخطورة العنصر اليهودي، إذ يقول السارد: «يعتقد سليمان أن اليهود يخبثون، وربما هم بيننا ولا تعرف، ولكنه يؤكد أنهم كثر، أكثر مما تعتقده وأنهم يخططون لأمر ما، يضحك الكافي، ويعلق على سليمان بكثير من السخرية لقد حكم الله عليهم بالتشرد... لا يمكنهم أن يفعلوا شيئا سواا خططوا أم لا ... ثم أنهم لم يعودوا جزائريين منذ سنوات، اليهود الآن فرنسيون»² ويشير القول الأخير إلى أن اليهود سابقا كانوا يتقمصون الهوية الجزائرية، مما يفتح الكثير من الأسئلة حول التشكيلات العرقية وواقع الهوية الجزائرية المعاصرة.

لقد تضمنت الرواية جزء كبيرا من الحركات السردية المفعمة بالغموض والحيرة والا معقول كما يتعرض السارد الذي كان يتفوق دائما على الشخصيات بعرفانية، ليحط مصير وأقدار الشخصيات وشخص حالاتها وتقلباتها النفسية وتطلعاتها، وكثيرا ما كان تيار الحكيم يفاجئ الملتقي، وحتى شخصيات الرواية بأحداث غير متوقعة تحترق ظنون التلقي وتكسر أفق انتظاره يفعل عنصر المفاجأة، وكسر رتابة السرد والجنوح إلى إيراد الاحتمالات البعيدة تماما، وإقصاء الاحتمالات المتوفرة والبديهية والمبتدلة. يحاول السرد أن يصقل الاحتمالات المتوفرة والبديهية والمبتدلة.

¹ الرواية، ص 88.

² الرواية، ص 124.

الفصل الرابع:----- نقد الذات والدفاع عن هوية الآخر

يحاول السارد أن يصف شخصية ريبكا/ زوينة اليهودية والتي تحولت إلى شخصية رمزية وهي ليلي، لتمثل قيمة الحب الخالص في الرواية، يقول الهاشمي واصفا إياها للعصفور الذي اقتناه لها: «أقول لك أمر، صدقني سوف تتعلم منها الزقزقة الحقيقية، إنها ساحرة، لا يعني هذا أنها مشعوذة أو شريرة، أبدا، هي ملاك في جسد بشر، كل ما تعرفه هو الفرح والحب والحلم. لم تؤذ أحدا في حياتها، هادئة وصوتها مثل زقزقة لا يزعج وإن استمر للأبد... عليك أن تكون فخورا فأنت أول عصفور في التاريخ يقدم عند ليلي»¹. يمارس السارد عرفانية باستعراضه له داخل شخصية ليلي فهو يصفها بالملاك المحب والحالم والهادئ، وهي صفات دخيلة لا تستطيع حتى شخصيته ليلي أن نحددها عن نفسها، أما كسر أفق المتلقي فيحدث بذكر هذه الأوصاف المناقضة للممارسات التي يفترض أنها رافقت حالة الحب التي أصيبت بها ليلي، كما يحاول السارد أن ينسج صورة جميلة ومثالية عن ريبكا/زوينة اليهودية، ليناقض ويخيب ويكسر أفق المتلقى الذي يمثل الذات العربية، والذي يحمل في خياله وذهنه صورة سيئة عن الآخر اليهودي وفي إطار الحكايات العالقة ييوح السارد بالسر الذي كان يخفيه مارك الألماني حتى عن خديجة زوجته، وهو الدافع الذي جعله يترك وطنه ويهاجر إلى الجزائر، وتنصل من هويته وتقمصه لهوية الرجل العربي الجزائري، يقول السارد: « في مكان ما من العالم كان نسل آخر لمارك ينتشر بهدوء، ولم يكن يعلم عن جده شيئا كان مارك الأول قد غادر وطنه الأم بعد أن ارتكب جريمة قتل شنيعة، هاجر باسم مزيف وهوية جديدة، اختار وطنا جديدا وامتهى اليه، وترك خلفه طفلين وجثة سيده في الأربعين هي زوجته واختفى.» ليتبين أن مارك ترك هويته وثقافته مرغما ومدفوعا بسبب هروبه.

يستلم عصفور الحسون الشاهد على أحداث هذه الرواية زمام فعل ليوقع نهاية الرواية بهذه السيارات: «أما أنا فأطير بهدوء، ربما ليس لأني سعيد، ربما لأني لم أعد قادرا على التحليق... أغمض عيني، أفتحها وأرى في صورة أبي وجدي وكل عصفور حسون أو طائر مر من هنا، اسمع صوتها تقول لي بنعومة: لقد نجوت من

¹ الرواية، ص 94.

القفص وأهوي إلى الضوء حتى أكف عن النظر... لا أستطيع الزقزقة رغم أني عصفور نجا من باب العين ومن القفص، رغم أني عصفور شهد الحكاية ولم ينبذ أحد»¹.

ويجعلنا هذا القول إلى فعل السرد القائم على فعل سرد آخر، ليتشكل تيار الحكيم وفق دوائر وحلقات سردية يتضمن بعضها بعضا في ظل تعدد السرود والساردين فتتضمن الحكاية حكاية أخرى أكبر منها يوقع نهايتها السارد الأكبر الذي يتمثل في شخصية عصفور الحسون.

المبحث الثاني: الدفاع عن هوية الآخر

وتخيم على الرواية مظهر في الدفاع عن هوية الآخر والذي يتجسد في صورة الحب الشديد إلى درجة الوله والهيام، هذه الحالة تصيب أغلب شخصيات الرواية إن لم نقل أغلبية الشخصيات البارزة، حيث كان الحب سببا ودافعا في تعدي الحاج الكافي على معتقداته وأعرافه وهذا بزواجه من زوينة أو بالأحرى ربيكا اليهودية، ويسبب الحب هربت هذه الأخيرة (ربيكا) من منزلها وتزوجت بالكافي وتنكرت لأصولها اليهودية، فصارت فتاة بدون أهل، بسبب الحب تحولت ربيكا إلى زوينة.

وبسبب الحب أصيب عيسى العرابوي بحالة الدروشة حتى أنه سمي بالولهي لشدة ولهه بشخصية سعدية وهذه الأخيرة التي كانت معلمة وفضلت الزواج بالكافي، وبسبب الحب تحولت شخصية زوينة إلى ليلي وهي شخصية رمزية تدل على الحب، وهكذا أصبحت حالة الحب تسري في فضاء الرواية، وأصيب بها الكثير من الشخصيات، حتى محسن الذي أحب جوهر بنت سيمون الرومية، ونجد كذلك شخصية الهاشمي الذي تحول إلى الولهي الثاني في قرية العين، يصف السارد شخصية الولهي قائلا: «بدأ الولهي إماما في بعض الوقت، يوم الشيوخ في مسجد باب العين، ومعلم قرآن يقرأ الكتب في الكتاب، وانتهى عاشقا سريرا، قبل أن يقوم برحلة الكشف

¹ الرواية، ص 162.

المجهولة، ثم هذا هو ينشد خلوة في الطرف الشمالي للبلدة، لا يتكلم في شيء غير حكايات العشق لبعض المقربين وحكايات أساطير أهل الأرض»¹.

لقد تجاوزت متلازمة الوهي كل المعتقدات والأعراف، كما أنها تكسر حدود الهويات، وتعلق مفهوم الانسان الذي يتجسد في روحه وقلبه، لترشح عاملا واحدا فقد يمكنه أن يتحكم في شكل العلاقات بين الأفراد وهو الحب، كما يذكر السارد في وصف الوهي: «فهو يرى أن الإنسان بقلبه وبروحه، وليس بانتمائه ووحده الوهي لا يعترف بالهويات، لا يسأل الناس من أين وإلى أين ولا يهتم للدم الذي يجري في العروق، وحده يعتقد أن الانسان بروحه وقلبه»².

ودراسة الهوية الثقافية بكل تمثيلاتها وتظهرها تتجسد في الهوية السردية لدى شخوص الرواية، وتشكل هذه الهوية بالتحام هذه الشخوص مع عالمها السردية بفعل تقاطع الزمن والمكان وحركة الشخصية في الفضاء السردية، كما تلزم القراءة الثقافية في المتن الروائي أن تحمل شخوص هذه الرواية كامل المسؤولية المعرفية والاجتماعية والثقافية لأن دورها لا يقتصر على وظائفها السردية فقط، بل هي كذلك تقوم بدور ثقافي مهم خصوصا إذا كان موضوع السرد يحتفي بقضية ثقافية مباشرة مثل الهوية إن المشروع السردية للروائي إسماعيل بيرير بهدف نقد وتعطيل الهويات المتصارعة والهويات الضيقة، وهاته الهويات هي تلك الهوية النقية من العنصر الآخر والذي جعله يخترق كيان الهويات الضيقة لينتج لنا نوع هجين عرقيا.

وكما سبق وذكرنا أن الكاتب استخدم أسلوبا مميزا ولعل أهم العبرات التي ذكرها السارد وأجملها بالنسبة لي عند وصفه للوحي «لا يعترف بالهويات، لا يسأل الناس من أين وإلى أين ولا يهتم للدم الذي يجري في

¹ الرواية، ص 30.

² الرواية، ص 77.

الفصل الرابع:----- نقد الذات والدفاع عن هوية الآخر

العروق، وحده يعتقد أن الإنسان بروحه وقلبه»¹. وعبارة أخرى كانت لبنت الرومية سيمون وهي في حوار مع ابنتها جوهر هاته الأخيرة كما كانت شرد على محسن هذا الحوار «لا يهملها أبدا دين وعرق من أحببت بل جوهره، لأجل هذا أسمتني الجوهر لأكون مثل والدي»².

¹ الرواية، ص 77.

² الرواية، ص 67.

خاتمة

خاتمة:

نتوقف لتكون الخاتمة آخر جزء نختم بها بحثنا هذا، لكن هذا لا يعني مطلقاً غلق المجال، فنحن لا نؤمن بنقطة النهاية في البحث بصفة عامة والنص الأدبي بصفة خاصة، فهي مجرد محاولة لدراسة منتج أدبي، يحمل من ثناياه الخطأ والصواب.

كما يعتبر الموضوع المتعلق باليهود والهوية موضوعاً معقداً وعميقاً، ورغم جهودنا ومحاولاتنا إلا أنه يبقى يحتاج إلى إضافات أخرى.

وتعتبر الرواية من أهم الأجناس الأدبية التي تناولت موضوع اليهود وعبرت عن الهوية وجسدت الذات وتركت لنا فرصة الانغماس في عالم مليء بالأحداث، فبعد قراءتنا لرواية "منبوذ والعصافير" والتي اعتبرها من أروع روايات العصر الحديث توصلنا إلى النتائج التالية:

- الزمن والمكان لهما أهمية بالغة في العمل الروائي فهو أساس بناء الرواية.
- اعتماد الكاتب على أسلوب الحوار بين شخصيات، وترك الشخصيات تتحدث عن نفسها وأفكارها.
- استخدام الروائي "الوصف" وهي أهم تقنية لنقل الصورة بكل دقة، كما قام باستخدام الشخصيات كوسيلة للتعبير عن الهوية والذات والعصافير للتعبير عن الحياة والحرية.
- الكاتب إسماعيل يبرير كاتب ومنتقن في مجاله من ناحية الأفكار التي يرغب ويحاول إيصالها للقارئ ومن خلال تميزه في سرد قصة حتى يتحول إلى أخرى كما أنه وفق في دمج الحكايات الكثيرة فيما بينها واستخدامها كعنصر لتشويق القارئ وزيادة فضوله،

كذلك من ناحية اللغة المستعملة في الكتابة والأسلوب.

● استخدام الكاتب الشخصيات كوسيلة للتعبير عن الهوية والذات وتقديمها بطريقة سردية إبداعية.

من ناحية أخرى نجد أن الرواية بصفة عامة تدعو إلى التعايش بين البشر وترسيخ قيم الإنسان، بعيدا عن أي إيديولوجية.

لا أحد يختار، دمه أو عرقه أو هويته والأرض ملك لمن يجدها ويخدمها.

ملخص البحث

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش للإمام بن نافع.

- 1- إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيان، محمد علي النجار: المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول، دت، دط، ص384.
- 2- ابن منظور، لسان العرب، ياسين سليمان أبو شادي، دار التوفيق للتراث، القاهرة، مصر، 2009.
- 3- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، مادة (هـ-و-ى)، 1863.
- 4- إسماعيل بيرير، رواية منبوذو العصفير، دار الخبر للنشر، الأبيار، الجزائر، 2019.
- 5- أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط، 2000.
- 6- بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، ط1، عالم الكتب، الجزائر، 2002.
- 7- التجاني بولعوالي، بين الهوية الإسلامية وقيم العولمة، 2010.
- 8- جريدة حماش: بناء الشخصية (مقاربة في السرديات)، منشورات الأوراس، الجزائر، 2007، ص 56.
- 9- جلييلة المليح الواكدي، مفهوم الهوية، مركز النشر الجامعي، د ط، 2010.
- 10- حسن حنفي حسين، الهوية، ط1، المجلس الاعلى لثقافة، القاهرة، 2012.
- 11- حميد لحميداني، بنيلة النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2000.
- 12- الخليل ابن أحمد الفراهيدي، العين، مرتبا على حروف المعجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003.
- 13- خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، 2009.
- 14- د. إبراهيم الديب، بناء مفهوم الهوية وادوارها الوظيفية في صناعة هوية الدولة الحديثة، حقوق الطبع محفوظة.
- 15- د. التيجاني بولعوالي، بين الهوية الإسلامية وقيم العولمة، د-ط، رابطة العالم الاسلامي، مكة المكرمة، 2010.
- 16- د. قاسم بن محمد بن المهلهل الياسين ط1، شركة السماحة لطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، 2012، ص 11.
- 17- د. محمد عمارة مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1999.

- 18- دينيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط1، 2007.
- 19- رضا شريف، الهوية العربية الاسلامية واشكالية العولمة عند الجابر، 2011.
- 20- زغو محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، الأكاديمية لدراسات الاجتماعية والانسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف، 2010.
- 21- الصادق قسومة، نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي، دار الجنوب للنشر، تونس، ط2، 2004.
- 22- صلاح صالح: (السرود وسرد الأخر، عبد اللّغة السردية) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب)، بيروت ط1، 2003.
- 23- عبد القادر شرشال: تحليل الخطاب السردية، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، تعاونية الهداية، بلقايد، وهران الجزائر، 2002.
- 24- عبد الله الركي، تطور النثر الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص200/199.
- 25- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1998.
- 26- علي عبد الرؤوف علي، الاندماج الاجتماعي بين مأزق الهوية وفخ العولمة تحديات وتحولات عمران المدينة الخليجية المعاصرة، جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014.
- 27- عمر العاشور، البنية السردية عند طيب الصالح، البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2010.
- 28- قحطان أحمد الظاهر، مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2004.
- 29- مجد الدين بن يعقوب الفيروز ابادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة لطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 2005.
- 30- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، بيروت، لبنان، ط8، 2005، 1235 .

قائمة المصادر والمراجع

- 31- محمد الكوني، سؤال الهوية في شمال افريقيا، تعدد والانصهار في واقع الانسان واللغة والتاريخ والثقافة، المغرب، د. ط1، 2014.
- 32- محمد انتونجي، معجم علوم العربية تخصص، سموليته-إعلام، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2003.
- 33- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت (د.ط)، 1987، 566.
- 34- محمد كاظم الجزائري، مفهوم الذات والنضج الاجتماعي (بين الواقع والمثالية)، دار صفاء للنشر والتوزيع، مؤسسة دار الصادق الثقافية، عمان، ط1، 2012.
- 35- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار القباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د-ط، 2007.
- 36- ناصر بن سعيد بن سيف السيف، الهوية والثقافة، 1435هـ.
- 37- نبيلة زويتش: تحليل الخطاب السردي: دار الريحانة للكتاب، الجزائر، 2007، ص 133.
- 38- نجوى ارياحي القسنطيني، الوصف في الرواية العربية الحديثة، تونس، كلية العلوم إنسانية.
- 39- واسيني الأعرج، النزوع الواقعي الانتقادي في الرواية الجزائرية، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1985.
- 40- وهيب الشاعر، الأردن الى اين؟ الهوية الوطنية والاستحقاقات المستقبلية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004.

ثانياً المجلات:

- 1- جوادي هنية، السرد وتشكل الهوية في رواية "البحث عن العظام" للطاهر جاووت، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، مجلة المخبر ابحاثا في اللغة والأدب الجزائري والعدد 13، 2017.
- 2- د. ثناء هاشم محمد، الهوية الثقافية والتعليم في المجتمع المصري، مجلة كلية التربية، عدد يناير، الجزء الاول، جامعة بني سويف، 2019.

3- عمر حمداوي، الهوية الجماعية لأفراد الاسرة وعلاقتها بالتحولات الاجتماعية الحديثة، جامعة قاصدي

مرباح ورقلة (الجزائر)، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد التاسع عشر، جوان 2015.

4- م. م. نائر رحيم كاظم، العولمة والمواطنة والهوية (بحث في تأثير العولمة على الانتماء الوطني والمحلي في المجتمعات)، مجلة

القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد 1، جامعة القادسية - كلية الآداب، 2009.

ثالثا الرسائل الجامعية:

1- حمد عمر احمد ابو عزة، واقع اشكالية الهوية العربية: بين الاطروحات القومية والإسلامية "دراسة من

منظور فكري"، قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم

السياسية، اشراف: الدكتور غازي الربابعة، كلية الآداب والعلوم، قسم العلوم السياسية، جامعة الشرق

الاوسط، 2011.

2- الخنساء تومي، دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي، اطروحة مقدمة لنيل شهادة

دكتوراه علوم في علم الاجتماع. تخصص علم اجتماع اتصال، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم

الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2016-2017.

3- كاري نادية امينة، العامل الجزائري بين الهوية المهنية وثقافة المجتمع، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في

علم الاجتماع، اشراف: د. مزوار بالخضر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية،

جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان-الجزائر، 2011-2012.

4- محمد أحمد أبو عنزه، واقع إشكالية الهوية العربية، بين الأطروحات القومية والإسلامية، دراسة من منظور

فكري، رسالة الماجستير في العلوم السياسية، إشراف الدكتور غازي الربابعة، كلية الآداب والعلوم، قسم

السياسة، جامعة الشرق الأوسط، 2011.

قائمة المصادر والمراجع

- 5- مراد طالب، العربي حموش، قضايا الهوية الوطنية في كتابات المؤرخ يحي بوعزيز، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2016-2017.
- 6- مراني حسان، الهوية المهنية الاجتماعية لفئة اطارات المؤسسات الاقتصادية العمومية، شهادة الدكتوراه، شعبة علم الاجتماع العمل، جامعة باجي مختار، عنابة، 2006-2007.
- 7- مولاي احمد بن نكاع، ملامح الهوية في السينما الجزائرية، شهادة دكتوراه، اشراف بن ذهبية، كلية الادب واللغات والفنون، قسم الفنون الدرامية، جامعة وهران، 2012-2013.

رابعا الكتب المترجمة:

- 1- جينيت وآخرون، الفضاء الروائي، تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 2008.
- 2- الكس ميكشلي، الهوية، ث، ب، على وطفة، ط1، دار النشر الفرنسية، دمشق، 1992.
- 3- هارلمبسو هولبورن، سوسولوجيا الثقافة والهوية، ت: حاتم حميد محسن، ط1 دار كيوان، دمشق، 2010.
- 4- اليكس ميكشيللي، الهوية، ت.د على وطفة، ط1، دار النشر الفرنسية، دمشق، 1992.

خامسا المواقع الإلكترونية:

- 1- ابراهيم العبيدي، مفهوم الهوية الوطنية، [https:// mawdoo3.com](https://mawdoo3.com)، تاريخ المشاهدة 25 أوت 2021.
- 2- فيصل الياسري، الهوية والاعلام التثقيفي <https://alarab.com> تاريخ المشاهدة 1 جويلية 2021.

- 3- محمد الغيلاني، الهوية والاختلاف في قضايا الدين والمجتمع، <https://www.moninoun.com>، تاريخ المشاهدة 7 جويلية 2021.
- 4- محمد بن احمد اسماعيل المقدم، الهوية الاسلامية، <https://www.albayan.ac>، تاريخ المشاهدة 15 اوت 2021.
- 5- منير بركاني، تعريف الهوية، وظائفها وانماطها، <http://www.tadwina.Com>، تاريخ المشاهدة 7 جويلية 2021.
- 6- ناهد عبادة، أهمية الهوية الوطنية، <https://sotor.ccom>، تاريخ المشاهدة 26 أوت 2021.
- 7- يسوع نور العالم، الهوية الدينية، <https://www.jesuswl.com>، تاريخ المشاهدة 17 أوت 2021.
- 8-2 جابر العصفور، الهوية الثقافية <https://www.alamayad-een.net>، تاريخ المشاهدة 20 اوت 2021.
- 9- جيلالي بوبكر، اللغة والهوية والعملة بين اللغة والاصطلاح، <https://www.arabiclanguage.org>، تاريخ المشاهدة 30 جوان 2021.
- 10- د. زينب ابراهيم، تعزيز الهوية الثقافية <https://www.multaqaasbar.com>، تاريخ المشاهدة 18 اوت 2021.
- 11- د. مهدي غازي الزامل، مفهوم الهوية الثقافية، <http://www.addustour.Com>، تاريخ المشاهدة 6 جويلية 2021.
- 12- صراع الهويات وخصائص الهوية الاسلامية <https://www.islamweb.net>، تاريخ المشاهدة 16 اوت 2021.

13- طبيعة الهوية الاجتماعية في ضوء النظريات السوسولوجية، <https://www.m.anaba.org>

تاريخ المشاهدة 23 أوت 2021.

14- عبد الحليم محمد اسماعيل، الهوية الثقافية، <https://www.aranthropos.com>، تاريخ

المشاهدة 21 أوت 2021.

15- غادة الحلايقة، مفهوم الهوية الثقافية، <https://www.mawdoo3.com>، تاريخ المشاهدة

17 أوت 2021.

16- <http://www.almaawy.com>

17- <http://www.almaawy.com>

18- <https://www.arabdict.com>

19- <https://www.arabiclanguage ic.org>

20- Tap-P. Introduction et affirmation de l'identité, Identité individuelle et personnalisation, 1979, 12, P 237.

المحقق

ملحق البحث

✓ التعريف بالكاتب:

اسماعيل يبرير هو كاتب وشاعر وأستاذ جامعي وروائي جزائري، ولد في مدينة الجلفة جنوب الجزائر العاصمة و كان ذلك في 5 أكتوبر 1979، نشأ في مدارس المدينة وكتاتيبها، هو أب لأربعة أطفال و مقيم حاليا بالجزائر العاصمة رفقة زوجته الكاتبة الجزائرية امينة شيخ، اسماعيل يبرير خريج المدرسة الوطنية العليا للصحافة وعلوم الاعلام بالجزائر العاصمة وتحصل منها على شهادة ماستر في الصحافة السوسيوثقافية .

✓ عمله في الصحافة:

بدا عمله كمسير لمؤسسة اتصال خاصة من 2004 الى 2006، ثم كصحفي في جريدة الجزائر نيوز الى غاية 2008، ومارس بعدها نشاطه في عدد من الجرائد منها الام العربية والتي كان رئيس لقسمها الثقافي فم سكرتيرا عاما لتحرير فيها حتى جوان 2009، ثم انتقل للعمل في جريدة وقت الجزائر فكان فيها ايضا مسئولا عني الشؤون الثقافية الى غاية 2012، وأصبح بعدها رئيس تحرير جريدة الموعد اليومي، ثم مدير تحرير جريدة المستقبل العربي في جانفي 2014 ومحرر منصب استاذ متقاعد للسينما والدراما بكلية الفنون بجامعة بجاية سنة 2013.

✓ نشاطه الأدبي: ألف اسماعيل يبرير عددا من الكتب في مختلف الجناس الأدبية، بدأ بالشعر لكنه اشتهر أكثر

كروائي من خلال روايته (وصية المعتوه، كتاب الموتى ضد الاحياء) وعرف عنه اهتمامه بالمصرح اذ ألف عددا من النصوص المسرحية.

✓ اصداراته الأدبية: صدر له مجموعات شعرية: طقوس اولى، منشورات اسامة الطبعة الاولى 2008 -التمرير
او ما يفعله الشاعر عادة (مجموعة شعرية) منشورات اسامة الطبعة الاولى 2008. وأيضا أسلي عربي بدفء
الرخام، دار العين للنشر (مصر)، 2006.

كما له مجموعة روايات:

- ملائكة لأفران، الطبعة الاولى 2008، طبعة الثانية 2010، مرقم لنشر (المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية)
- باردة كان، منشورات الاختلاف الجزائر، ضفاف بيروت، طبعة الاولى 2013.
- وصية المعتوه: كتاب الموتى ضد الاحياء، منشورات ميم الجزائر، 2013
- مولى الحيرة، منشورات مسكيلياي، تونس 2016، منشورات حبر، طبعة الجزائر، 2016
- منبوذو العصافير، دار العين، مصر، طبعة عربية، دار الحبر، طبعة الجزائر، 2019.

ومن النصوص المسرحية التي كتبها:

- الراوي في الحكاية (مسرحية) دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة، الامارات العربية المتحدة 2011
- عطاشي، دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة، الامارات العربية المتحدة 2018.

للمؤلف كتب جماعية:

- حكاية الرواية الاولى اعداد: هيثم حسين دار قنديل للطباعة والنشر والتوزيع، دبي، الامارات العربية المتحدة
2017.

- المسرح والرواية، دراسات وشهادات اعداد: عصام ابو قاسم، دائرة الثقافة والاعلام الشارقة الامارات العربية

المتحدة 2018

- جينية جي: كتاب جماعي عن اسطورة الحب الجزائرية باللغتين العربية والفرنسية تحت ادارة: لزهاري لبيتر،

منشورات الحبر الجزائر 2018.

✓ الجوائز والتقديرات: لقد حاز على عدد من الجوائز سواء على المستوى المحلي او العربي منها:

- جائزة وزارة المجاهدين للقصة القصيرة، 2006.

- جائزة الملتقى الدولي لرواية عبد الحميد بن هدوقة في القصة القصيرة 2007.

- جائزة أحسن نص شعري الملتقى الوطني للإبداع الادبي والفن، الجلفة، 2008

- جائزة رئيس الجمهورية لإبداعات الشباب في الرواية 2008.

ب- ملخص لرواية منبوذو العصافير :

أصدر الروائي الجزائري الاستاذ " اسماعيل ييرير" اخر اعماله "منبوذو العصافير" وهي رواية صدرت في طبعتين متزامنتين من دار العين المصرية في الطبعة العربية ودار الحبر الجزائرية في الطبعة. غالبا ما تبدو الرواية كمشاهد مسرحية متلاحقة في كل مرة تميل الكفة الى احدى الشخصيات من الرواية وأحيانا تظهر لنا شخصيات جديدة، تختلف السنوات وتتعدد الشخصيات وتتسارع الاحداث وتتداخل فيما بينها الحكايات، اذ نجد الكثير من اللبس والغموض لآكن ما لاحظنا حضوره في كل مرة هم العصافير حتى لو كان بحضور رمزي بالإشارة من الكاتب الى الحياة والحب والحرية.

الملحق

في قراءتنا للرواية نجد ان البداية كانت سنة 1921 بمجيء موريس وهو تاجر يهودي من فرنسا الى بلدة تدعى " العين " وقد جلب معه طائر الحسون لينجو من مرض الطاعون لكنه باعه لاحد اثرياء البلدة بمبلغ كبير، هذا الأخير الذي احتفظ به مدة ثم حرره فرصد موريس مكافئة لمن يصطاده، لهذا اجتمع الناس وطاردوا كل العصافير ليصطاده في الاخير زكري وهو نجل القائد عيسى.

استهل الاستاذ اسماعيل في روايته هذه بالإشارة الى مكان افتراض غير حقيقي هكذا اختاره او فضل ان يكون في جزء منه هو مكان محتمل ان يكون في الجزائر تحديدا في مدينة تدعى "باب العين" ومن هنا تنطلق الشخصيات بالظهور قادمة من جهات مختلفة لتشكل احداث كثيرة ومشوقة.

من مارك الالماني الذي هاجر من بلاده و ادعى انه فرنسي ليتحول بعد ذلك الى جزائري قدم قبل قرن و بضع سنوات عبر سفينة الى الجزائر مخفيا حقيقته و هويته الحقيقية و هو الذي ارتكب جريمة قتل قبل مجيئه حيث اطلق الرصاص على طفل كان يعانق معلمته و التي هي زوجته المدعوة فأنيسا فيصيبها فتموت ، عمل مارك مشرفا على البنائات في مدينة العين و صادف خديجة التي احبها و تزوجها ، فغير ديانتها و تعلم العربية سريعا بعد ان تلقى ترحيبا واسعا من اهل البلدة ، انجبت خديجة و مارك اربعة ابناء ثلاث بنات (زينب، فريجة، ربيعة) و طفل واحد يدعى بشار .

أمضت خديجة 20 سنة مع مارك لا تعرف عنه سوى القصة التي حكاها وهو في السفينة عن العاشقان والخاتمان والتي انتهت القصة بموت العاشقان في حين ان مارك احتفظ للخاتمان واحد قدمه لخديجة توفي مارك في بئر في محاولة منه لانقاذ عصفور جريح سقط في البئر لكن محاولته كلفته نفسه اذ مات هو والعصفور، كان المشهد محزنا كيف لا وهو مارك الطيب والمحبوب، خلف فراغا رهيبا في قلب خديجة الذي تضاعف بعد هروب ابنها بشار من المنزل تحديدا بعد وفات والده ولم يظهر له أثر بعدها.

لقد أنجب مارك اولاد عمروا من بعده اذ نجد مارك الثاني ويدعى مالك بن يعقوب بن بشار بن مارك الالماني لكن الجميع ينادونه على اسم جده مارك وهو الذي يسعى الى كتابة رواية مختلفة، في البداية لم نكن نعرف ان كان يكتب رواية ام يسرد سير حقيقية والتي كان يلقيها على فضيلة. هذه الاخيرة والتي تعلقت بمارك كثيرا وانتظرته مطولا ليخرج من عالمه الافتراضي لكن دون جدوى كانت تردد "العالم موجود خارج روايتك يا مارك" ويجيبها مارك قائلا: "الروايات هي الحقيقة التي لا نستطيع ان نصدقها لاحتقارنا أنفسنا حتى ابطال الروايات لا يؤمنون بأنهم احياء يتحركون داخل رواية حية." فضيلة تلك الفتاة التي تعيش في عمارة وسط مدينة العين مع شقيقتها الكبرى التي تدعى مارية وهي طيبة تبدو أكثر جدية وأكثر صراحة من شقيقتها فضيلة.

و في فصل اخر من رواية "منبوذ العصافير" باب العين و ينطلق من شخصية تدعى "الوهي" و اسمه الحقيقي هو عيسى العرابوي يقيم في كوخ على ضفة الوادي و لديه صديقان لخضر و الشاوي بدا اماما و معلم و انتهى عاشقا سريرا عرف بالوهي من كثرة حبه لسعدية و هي معلمة فضلت الزواج برجل لديه زوجة و ابناء على الزواج بالوهي ، تزوجت سعدية بالكافي و هو ابن زكري الذي اصطاد طائر الحسون من موريس ، الكافي الذي ولد في وسط الطاعون سنة 1920، و كبر مناظلا سريرا و الذي كانت لديه ميولات سياسية ، تعرف سنة 1946 على فتاة جميلة و تزوج بها و التي تدعى ريكا بنت كوهين اليهودية بن موريس التاجر اليهودي و قيل انه من اليهود الذين اسسوا اسرائيل

هربت ريكا من بيت اهلها بمساعدة سليمان القصاب وهو ابن خال الكافي وتزوجت بالكافي وأنجبت (انيسة ومحسن)، قامت بتغيير اسمها الى "زونية" حيث اخفت هويتها على ابنائها واحفادها في حين ان الكافي يعرف حقيقتها. وتوقف عن حبها ان لم يكن قد كرهها عقب تاسيس اسرائيل، توفي الكافي وتولى محسن ابنه المسؤولية، حيث حاول ان يقوم بدور والده، محسن الذي تزوج بام النون وأنجب الهاشمي وحنان وهذه الاخيرة التي

احبت ابن عمته انيسة ويدعى أمجد وهو شاب فلسطيني والذي يدعى اسماعيل الذي اختفى في ظروف غامضة لكن اتضح بعدها ان سبب اختفائه هو وفاته أثر انقلاب حافلة متوجهة الى فلسطين للحرب وهو الذي كان حلمه ان يرى وطنه يتحرر وكان هذا سنة 1973.

اما زوينة فقد اصبحت تستمع الى حكايات كان يحكيها "الولهي" العائد من الغربية بعد زواج حبيبته سعدية اذ وجدها تزوجت للمرة الثانية فلم يعد يبالي فقد صار حكاءا يحترمه الجميع، أدرك الولهي ان زوينة تسترق السمع ومعجب بحكاياته التي تعود وتسردها لنساء حتى صارت تدعى ليلي. ومن هنا بدأت قصة ليلي والولهي العاشقان الكبيران في السن وكان برهوم درويش القرية الوحيد الذي يدرك قصة الحب هاته قبل ان يعرفه ابنائها واحفادها، في حين ان ابنها محسن وقع في حب "جوهر" وهي فتاة من ان فرنسية تدعى "سيمون" التي تزوجت بشار بن مارك لمدة سنين ثم تخلى عنها وتنكر لها.

أحبت سيمون بعدها سليمان القصاب ليموت هو الاخر في الحرب التحريرية من طرف الجنود الفرنسية مقررنا بعد ذلك رفع السلاح والانتقام لمقتل حبيبها، فلقد كانت مشتبهة بمقتل اندري الذي توفي بعد ان أطلق عليه ثلاث طلقات رصاص سقط فيها ارضا، وكانت هذه قصة سيمون التي لم تنتهي بعد والتي بدأت بسردها. جوهر التي لم تكتفي بهذا القدر بل اصرت على اخبار محسن عن حقيقة والدته زوينة وعن اصولها اليهودية ما جعل المشهد مروعا بالنسبة لمحسن الذي لطالما كان يختفي بنسبه وانه من اشراف البلدة معرفة هذا الامر كانت بمثابة صفة قوية توقضه من غروره وكبرياته.

محين كان حزينا للغاية لأنه يحمل دماء يهودية لكن بالرغم من ذلك حاول حماية والدته فهو بين شعورين متناقضين وهما حب الام الذي لا مثيل له فهو لا يستطيع ان يتخلى عنها مهما حدث والثاني متمثل في كره

اليهود. وبينما كانت ليلي بالوطني الى ان توفي تاركا خلفه مجموعة من الحكايات وحبا عظيما في قلب ليلي حيث قبل وفاته التقت به هذا الامر الذي جعل الوطني سعيدا.

والوطني ليست شخصية عادية بالنسبة الى ليلي هو شخص أحبها بكل كيانه وبكل صدق دون النظر الى اصولها وهويتها الحقيقية، وحده الوطني لا يعترف بالهويات لا يسأل الناس من اين والى اين، ولا يهتم للدم الذي يجري في العروق وحده يعتقد ان الانسان بروحه وقلبه. ولقد كان الهاشمي وهو ابن محسن وحفيد ليلي أقرب الى جدته، فكانت تحكي له عن الوطني الى درجة انه كان يراود كوخه مرارا وتكرارا وأصبح الهاشمي شغوفاً لقراءة ما تركه الوطني من حكايات وقصص، حدث هذا كله بعد خروجه من المستشفى والذي صادف فيه فضيلة وشقيقتها مارية، تعلق الهاشمي بفضيلة في حين ان شقيقتها مارية تعلقت بمارك وعالمه الافتراضي، توفيت ليلي ويومها كان الهاشمي حزينا وكيف لا وهو الذي فقد ليس جدته فحسب بل رفيقته التي كانت تحكي له قصصا وهو الذي كان يحكي لها عن فضيلة. الهاشمي الذي يراود منزل الوطني ويرتدي بذلته ويحاول ترتيب اقفاص الطيور، تلك الاقفاص التي كان الوطني يدفع مبالغ مالية لمن يصطادها ليعود ويجررها في الاخير، في حين اعتقد الناس انه يأكلها ومن جهة اخرى عاد الابن الضال الى منزل والدته بعد ان طال غيابه، واختفى أثره، انه بشار بن مارك وهو زوج سيمون حيث تزوج بشار والدت جوهر لمدة سنين ثم تنكر لها.

كانت خديجة اسعد امرأة بعودت حبيب قلبها بشار ، تزوج بشار مرة اخرى و أنجب يعقوب و هو الشبيه بمارك الاول ، و كانت خديجة تحبه كثيرا بسبب صفاته الطيبة و اخلاقه الحميدة على عكس والده بشار الذي اصبح يقتل الناس في اراضيهم ، يعقوب سند جدته خديجة التي اعتبرته خليفة مارك ، بعد فترة احست خديجة بقرب اجلها فطلبت من يعقوب الذهاب لزيارة مقبرة مارك و هذا ما فعله ، فطلبت منه خديجة ان يحفر قبره الامر الذي استغربه و اعتبره شبيها بالسحر لكن بعد اصرار خديجة قام يعقوب بتنفيذ طلب جدته ليجد علبة معدنية موجود فيها قماش و خاتمان ، اوصت خديجة يعقوب بإلقائها في البحر ، لكن في الغد توفيت خديجة و يعقوب

انشغل بمراسم الجنازة فلا يستطيع ان ينفذ وصية جدته ، في حين ان مارك الثاني اكتشف الخاتم الذهبيان و قررا الاحتفاظ بهما و من يومها اصابته اللعنة فلم يعد يؤمن بالحياة مع الناس و انخرط في الخيال و الحكايات ليصدر في الاخير رواية "احفاد ليلي" .

فهرست الرواية الى خمسة ابواب:

من مارك الاول لرواية الى العين الى ليلي تعود مجنونها الى الحكايات العالقة، من مارك الاول حتى مارك الثاني مرورا لخديجة لالمان واجيال اخرى تتقاسم البطولة تشترك في الوجد المتوالد من قصص الحب المذلة بالمنطق الاجتماعي والعرف بالإضافة الى جزئيات اخرى كان لها دورا بارزا في الرواية.

وفي الاخير اثناء قراءتنا للرواية نعتقد ان بيرير يقول ان الارض لا ترفض وافدا إذا ارتبط بها وأحبها وخدمها وان لا أحد يختار عرقه او دمه وان الرواية تجسد معنى التعايش وقبول الطرف الاخر رغم عرقه وهويته وحقيقته. وقد شكلت قصة الوهلي ويلي من معنى ان الحب هو حب الروح والنفس لا حب الهويات الخ. كما تطرق بيرير عن حقيقة الوجود اليهودي والفرنسي في الحياة العاملة للجزائريين وعن مهايم الهوية الغامضة.

تعتبر رواية "منبوذو العصافير" من أعظم واروع روايات العصر الحديث، استخدم الكاتب لغة مميزة قدم فيها الكثير من المراوغات الجميلة التي تجعل القارئ يعبد في كل مرة الفقرة، واستخدم اسلوب رفيع في سرده للحكايات لقد كتب الاستاذ اسماعيل بيرير رواية "منبوذو العصافير" فأتقن وأبدع في رواية شبيهة بملحمة من اجل الحب والذي شكل هوية مشتركة.

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات

	بسملة
	شكر وتقدير
	اهداء
أ-ج	مقدمة
	مدخل البحث
06-05	تمهيد
07	المبحث الأول: الرواية واتجاهاتها
08-07	1. نشأة الرواية الجزائرية
08	2. اتجاهات الرواية الجزائرية
08	أ- الاتجاه الإصلاحى
09	ب-الاتجاه الرومانتيكى
09	ج-الاتجاه النقدى
09	د-الاتجاه الواقعى الاشتراكى
10	3. أهم مواضيع الرواية الجزائرية
13	المبحث الثانى: حول الهوية فى الرواية
13	1 تعريف الهوية
15-13	أ- لغة
19-15	ب-اصطلاحا
	الفصل الأول: أبعاد الهوية
21	تمهيد
21	المبحث الأول: الهوية الدينية والوطنية
26-21	1. الهوية الدينية
29-26	2. الهوية الوطنية
29	المبحث الثانى: (الهوية الاجتماعية والثقافية)
34-29	1. الهوية الاجتماعية
39-34	2. الهوية الثقافية
	الفصل الثانى: الشخصية الروائية وملامح الهوية اليهودية
41	تمهيد
41	المبحث الأول: الشخصية الروائية
45-41	1. مفهوم الشخصية الروائية

46المبحث الثاني: ملامح الهوية اليهودية.....
471-قضية المرأة اليهودية والامتزاج الثقافي.....
48-47أ- المرأة اليهودية.....
49-48ب-الامتزاج الثقافي.....
الفصل الثالث: الفضاء المكاني والهوية المحلية	
51المبحث الأول.....
511. الفضاء المكاني.....
511. 1. الفضاء.....
52-51أ-لغة.....
52ب-اصطلاحا.....
54-522.1. المكان.....
55المبحث الثاني: (الهوية المحلية).....
58-551. مفهوم الهوية.....
61-582. دور السرد في إثبات الهوية والذات.....
الفصل الرابع: نقد الذات والدفاع عن هوية الآخر	
63المبحث الأول: نقد الذات.....
631. الذات.....
64-63أ- لغة.....
66-64ب-اصطلاحا.....
73-662. نقد الذات.....
75-73المبحث الثاني: الدفاع عن هوية الآخر.....
78-77خاتمة.....
80ملخص البحث.....
88-82قائمة المصادر والمراجع.....
97-90الملحق.....
100-99فهرس المحتويات.....

ملخص:

تعد رواية منبوذو العصفير من أهم الفنون الأدبية التي تناولت موضوع الهوية بحيث أن هذه الأخيرة تمثل الركيزة الأساسية التي دفعتنا لدراسة هذا النوع من الأدب، فقد جسدت الهوية وكانت نموذج يعكس الواقع الذي يعيشه المجتمع الجزائري في ظل العادات والتقاليد والأعراف والأوضاع التي كانت سائدة، حيث استخدم مصطلحات كاليهود، الهوية الأرض، الحب، الانتماء، الذات... إلخ والتي ساعدتنا في بناء وتحرير بحثنا هذا.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الأرض، الحب، الانتماء، الذات.

Résumé

Le roman Les Parias des oiseaux est l'un des arts littéraires les plus importants qui traitent de la question de l'identité, car cette dernière représente le principal pilier qui nous a poussés à étudier ce type de littérature. Des termes tels que Juifs, identité, terre, amour, appartenance, soi... etc., ce qui nous a aidé à construire et éditer notre recherche.

Mots-clés : identité, terre, amour, appartenance, soi.